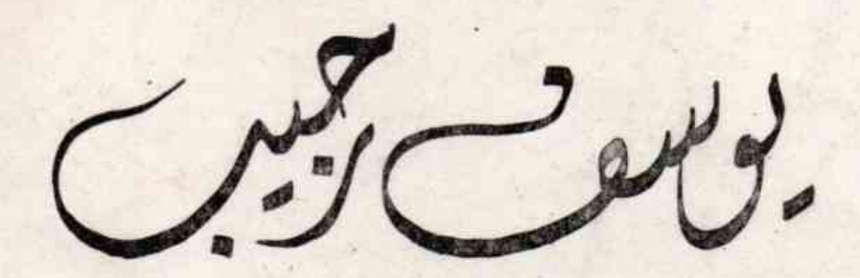
الدكتور منير بكر التكريتي
استاذ الادب والصحافة
بكلية الآداب



الصحافي الثائر والاديب الملتزم

الطبعة الأولى

ساعدت نقابة المعلمين
في الجمهورية العراقية
في طبعه

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٧٦



الدكتور منير بكر التكريتي
استاذ الادب والصحافة
بكلية الآداب



الصحافي الثائر والاديب الملتزم

الطبعة الأولى

ساعدت نقابة المعلمين
في الجمهورية العراقية
في طبعه

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

الى العقل النيّر ، الذي آمن « بان الدعاية الهادفة والاعلام النزيه هما سبيلا التحرر والنضال » • وأنّ « الصحافة الحرة أقوى من مدفع وأعزّ من سلطان » •

اقدم هذا المجهود المتواضع ، الذي هو في حقيقته ثمرة من ثمراته التي اودعها أمانة في عنقي ، وليس بما فيه الا بعض فضله عليّ •

الى روح استاذي المرحوم الدكتور عبداللطيف حمزة ، تحية التلميذ المعترف بجميله والمقر باحسانه ، وهو في قبره •

المؤلف

التقــدمة

الحديث عن الصحافي الجريء اللامع المرحوم يوسف رجيب ، حديث عن الوطنية الصادقة ، والاحاسيس التي لا تشوبها أية شائبة من الدجل ، والانتهازية ، والمنفعة الخاصة التي كثيرا ما سببت لهـذا البلد المشكلات ، وجلبت له انواعا مختلفة من الاضرار ، ورجيب من القلائل الذين نذروا نفوسهم لخدمة الحق والوطن فهو عصامي تولى بنفسه تنشئة نفسه ، فقد كان شابا يعمل مع أخيه ناصر رجيب في دكان لهما بسوق الكبير من مدينة النجف الاشرف ، ويقع دكانهما مقابل دكان الحاج نجم البقال الذي نفذ انفجار أول ثورة في النجف سنة **١٩١٨** التي كان يراد بها الثورة العراقية الكبرى ، فأخفقت ، واقتصرت الثورة على النجف وحدها وأحجمت القبائل التي كانت قد اتفقت بأن تدخل المعركة حين تسمع الرصاصة الاولى التي تنطلق من النجف .

من المؤكد ان يوسف رجيب كان قد رأى الحاج نجم الذي ترأس تنشيذ اطلاق الرصاصة الاولى لقتل الحاكم الانكليزي (مارشال) كما يشهد بذلك ما كتبه رجيب عن الحاج نجم ومن المؤكد انه قد سمع نهاية الحاج نجم واعدامه في الكوفة مع عشرة آخرين من العاملين في الثورة ولا شك انه تحسس بالاحاسيس العامة عند النجفيين بسبب هذه النهاية فكانت هذه الحكاية حكاية الثـورة وحكايـة الحـاج نجم ، وحكاية نقمة النجف على الانكليز ، والاخفاق الذي اصاب النجف في ثورتها ، أول عامل حرك في نفس يوسف الشعور الوطني وألهب احساسه بالحقد على الانكليز .

وحين أعلن استقلال العراق وتوج الملك فيصل ملكا على العراق ، كان هناك من لم تخمد في نفوسهم بعد نيران الثورة والحقد على الانكليز ، فراحوا يسعون لفتح مدرسة يتخذون منها وسيلة لبث الروح الوطنية وتنشئة الطلاب تنشئة تغاير تنشئة المدارس الحكومية التي كانت تدعى بالمدارس **(الاميرية)**

حينذاك ، على غرار المدارس المصرية الرسمية ، ثم يتخذون من هذه المدرسة ستارا يعملون من ورائه ما يريدون ان يعملوا ، وكان في مقدمة اولئك الساعين لهذه الفكرة السيد سعيد كمال الدين وابن عمه السيد حسين كمال الدين بل كانا هما المؤسسين، وبذلت جهود كثيرة حتى تم الاذن بافتتاح هذه المدرسة التي سميت بمدرسة الغري ، وعينت هذه المدرسة أول ما عنيت بالقسم الليلي لتدريس الكبار من الاميين وغير الاميين ، ولم يكن يوسف رجيب حينذاك يعرف شيئا أكثر من القراءة والكتابة الى جانب تلك الروح الوثابة المتدفقة حماسة وايمانا فانتمى الى مدرسة الغري طالبا ليليا ، ولما كان يوسف على جانب من الاستعداد الفطري فقد وجد في مناخ تلك المدرسة مبتغاه من الكتب التي راح يهديها لها النجفيون ، ووجد الروح التي تلائم روحه الوطنية فما لبث حتى تفوق في أقل زمن على اقرانه وأصبح مدرسا في هذه المدرسة ، وأحسب ان الفضل في تثقيفه من حيث الالمام بالنحو والصرف يعود لأحد مدرسي هذه المدرسة وهو المرحوم « سلمان ملا علي » أو (سلمان فايق) كما يسميه البعض اما الكتابة والانشاء فيعود الفضل في ذلك الى مدرس مصري هو الاستاذ «عبدالمعطي» الذي كان قد استقدم من مصر هو »وسامي نصير« ليتوليا التدريس بمدرسة الغري ، ولست أذكر هل ان عبد المعطي هذا هو الاستاذ عبدالمعطي المسيري الكاتب المصري الذى اشتهر بعد ذلك أم هو شخص آخر؟ وحين وجد في امكانه القيام بنشر صحيفة تعكس فيها ما كان يحتدم في نفسه ، سعى وبعد شيء كثير من المجهود تم له الحصول على اصدار جريدة أدبية باسم (النجف) في النجف ، وهنا برزت ملكات يوسف رجيب السياسية ، ونزعاته الوطنية، وقد استعان بالاستاذ عبدالمعطي ككاتب حلو الاسلوب ، مشرق الديباجة ، له في كل عدد مقال واستعان بالاستاذ محمد علي البلاغي في ادارة حساب الجريدة ، ووجدت مدرسة الغري في جريدة (النجف) وفي صلابة يوسف رجيب بعض ما كانت تتمناه ، وصارت

(النجف) وفي صلابة يوسف رجيب بعض ما كانت تتمناه ، وصارت اليه .

وبدأ يوسف رجيب يوما بعد يوم يفيض جرأة في تأليب الناس على الانكليز ، وخرجت جريدته عن خطتها كجريدة ادبية ، واصبحت جريدة سياسية رضيت السلطة أم لم ترض ، ولمع نجم يوسف رجيب ككاتب سياسي ناقم على الانكليز ومشايعيهم ، وحين ضاق به هذا المحيط محيط النجف ، واغلقت جريدته انتقل الى بغداد ، ولما كان مزاجه يلائم مزاج ابراهيم صالح شكر الثائر الناقم فقد تم له ان يرتبط به ارتباطا وثيقا ، وأصبحا يعملان في جريدة (الزمان) زمان ابراهيم صالح شكر ، لا (زمان) السمعاني ، وضايق يوسف رجيب بنقده ومؤاخذته الحكومة والنواب ، وكبار الموظفين فضويق هو حتى لم يجد سبيلا الى ما عللته نفسه ، واذا عددت الكتاب الوطنيين الصادقين والجريئين يومذاك لا يمكن لك ان لا تجعل ليوسف رجيب مقاما مرموقا بينهم ، وكان بامكان يوسف رجيب ان يغتني لو كان مهادنا على الاقل ، ولكن يوسف رجيب كان صلب العود ، مؤمنا بمبدئه ، صادقا في وطنيته ، وان رجلا كهذا لابد من ان يلقى جزاءه المنتظر من السلطة التي كان يضايقها فضايقته حتى اضطر لان يعمل موظفا ثم نكلت به السلطة وسجنته محالا على المحكمة العرفية ، وذلك لمشاركته في التمرد الذي حصل عند القبائل في جنوب العراق ، والحقيقة انه كان مشاركا في هذا التمرد وفي الحث على العصيان لارغام الحكومة على اعطاء الشعب حقوقه المغتصبة .

أما ان يجازي الناس هذا الرجل الوطني المؤمن الصلب العقيدة المدافع عن الحرية بالعقوق فهذا ما لم يجر على بال .

لقد نسي الناس يوسف رجيب كما نسوا الكثير من امثال ثابت عبدالنور ، وأمثال حسين علي الاعظمي والاستاذ سامي خونده صاحب جريدة

« الرافدان » كلا في ناحية وبدأوا ينسون علامة العراق الكبير الدكتور مصطفى جواد ، وفي هذا النسيان شيء كثير من العقوق وأي عقوق أكثر من الجحود والاهمال الذي نلمسه في كتابة الكتاب ، وتدريس المدرسين ، وتأريخ المؤرخين .

وانه ليسرني ان أجد في الدكتور منير بكر التكريتي هذه الروح التي تفرض عليه أن يذكر المجتمع بهذه الشخصية الوطنية وبتضحياتها خدمة للمجتمع نفسه ، وذلك لان يوسف رجيب وامثاله قد ماتوا وانقطعت علاقتهم بالحياة فلا ينفعهم ذكر بالخير ، ولا يضرهم ذكر بالشر ، وكان الواجب على مجتمعنا ان يبروا بهم ويكرموهم ، وينزلوهم المنازل اللائقة بهم وهم احياء يعيشون بيننا .

وجزى الله الدكتور منير بكر خيرا عن الناس لان في عرضه لحياة يوسف رجيب بعض ما ينفع الناس ، وكثر الله من أمثاله .

جعفر الخليلي

المقدمة

كم كانت فرحتي غامرة عندما بدأت ابحث في سيرة الصحافيين العراقيين المحدثين ! فكلما انهيت بحثا في احدهم شدني ثانيهم اليه شدا • ومما زاد في غبطتي انني ولعت باولئك الكتاب عامة ولعا يفوق حد التصور ، وبرجيب خاصة ، لهذا حاولت جاهدا البحث في سيرة الرجل، وآثاره في بطون الصحف والمجلات والاتصال الشخصي بمن زاملوه وعاصروه واذا بي اقف عند شخص اجتمعت فيه سيرتان ، كل واحدة أعانت أختها على الوصول الى اسمى غاية يبغيها انسان لخدمة وطنه ، واعز أمنيـة يرنو اليهـا كاتب وفي سعى باخلاص لتحقيق أماني وطنه ، واقالته من عثراته ، وأعـانته على النهوض بالاعباء التي أثقلته سنين طويلة • معنى هذا أن الحديث عن سيرة «يوسف رجيب» معينة ، ومكملة على تفهم سيرته القومية، ومادة ثرة للوقوف على أصالة أدبه ونتاجه وأثر ذلك على المجتمع ، لذا ليس عجيبا أن اجتمعت ثلاثة عوامل في تكوينه : سيرة شخصية وسيرة سياسية ، وثالثة صحافية أدبية • لهذا كله وجدتني أؤرخ لهذا الكاتب من الناحية الشخصية البحتة ، فاذا بي أجد سجلا ضخما لحياته حافلا بكل جديد وطريف ، وسفرا عظيما لتأريخ اسرته التي انحدر منها اولا ، وأؤرخ له من حيث السيرة القومية ، والسيرة الادبية ثانياً ، والسيرة السياسية ثالثاً •

وفي كل هذا وقفت أمام أديب بارع اختصر تأريخ أمته في تأريخه، وترجم للعصر الذي عاش فيه ترجمة حية ، سلبا وايجابا ، حتى ليمكن القول ان قلمه كان ميزان عدل وزن الحوادث بأمانة ودقة متناهية ، واستوعب المشكلات بعقله الواعي فعكس الصور الحقيقية لآمال الشعب وآلامه في تلك الفترة بالذات• كان رجيب ــ بحق ــ عيناً سحرية صورت كل صغيرة وكبيرة• لقد وقف الرجل قلمه وعقله لخدمة أمته ، وكان له في خدمتها اسلوب اشتهر به ، اسلوب الجد والاتزان المستند على الحقائق والمعتمد على الدلائل الدامغة•

تحس ، وانت تقرأ مقالاته ، كأنك تعيش التأريخ ذاته ، وتتمنى ان تشارك ابناءه في الجهاد والكفاح ، وتتالم لما عاناه ـ رجيب ـ من اضطهاد وحرمان فيبكي قلبك قبل ان تبكي عيناك للظروف القاسية التي واجهته من اقصاء بالا كراه من وظيفته ومحاربته في رزقه • هكذا كانت نشأة الرجل ، وهكذا يمر الكرام بالنوازل التي احاطت بهم•

الواقع ان ظروفه كانت مضنية وقاهرة ، وعلى الرغم من ذلك فقد صمد «رجيب» صمد رجل قوي الامل ، عظيم الايمان ، ورزق نفسا تعاف الذل، وتكره الضيم ، وتنفر من اهتبال الفرص للمسؤولين وللحكام بشهادة مؤبنيه من رجال الدين والشعراء والادباء ، واشادتهم بقوة ايمانه وصلابة عقيدته في النهج والمنهج •

لقد سمت نفسه ، وهو شاب ، يدرس في المدارس المسائية أن يقتحم الميدان الصحافي ويصدر جريدة في مسقط رأسه «النجف» فظهر على حقيقته في جريدته هذه كالشعاع في وضح النهار ، مزيج من الفطنة والحرمان ، تفهم هذا من أحاديثه الصريحة وتعرف ما في نفسه من حرقة ومرارة • كان دؤوبا في النهار فاذا أقبل المساء اندفع ليضع بين السطور حشاشة نفسه يفرغ فيها همومه معبرا خلال ذلك عن تطلعات ملايين العراقيين[١]•

لقد نال كاتبنا من الطغاة العذاب المرير ، ومن الحرمان ما أنقض ظهره فسجن وعذب لا لذنب جناه سوى أنه وطني أراد الخير لامته والتحرر لشعبه • هذه الجوانب مجتمعة في شخصية رجيب كانت الحافز لي على ابراز مواهبه وعذابه وتأليف هذا الكتيب الذي بين يديك ـ أخي القارىء ـ • لان الرجل نسي من غير ذنب وأهمل من غير حق • والحق أقول أنني كل ما قرأت مقالة من مقالاته أو تصفحت اقصوصة من أقاصيصه ، أو انعمت

---

(١) راجع مجلة الغري ص ٥٩٥ •

النظر في بحث من بحوثه هزني من الاعماق ، لشائق عرضه، وسداد رأيه وجودة أسلوبه • تقرأ لاديب مثقف أخذ من كل علم بطرف ، يخاطب المثقفين والمتعلمين على حد سواء بأسلوب أقل ما يقال فيه : « انه السهل الممتنع» فيشد قراءه الى فكرته ، ويحثهم على العمل ويطلعهم على واقعهم • هذه الامور مجتمعة هي التي شدتني الى الكتابة عنه وتقديم نتاجه لقراء العربية •

وبعد هذا وذاك

« فرجيب » صاحب مدرسة كتابية رائدها الصدق وديدنها الاخلاص لا تواري ولا تماري في أحلك الظروف والازمات • رحم الله « رجيب » فقد كان قلب الأمة النابض ولسانها الناطق ، اذ احتذى حذوه كثير من الكتاب فكانوا من اعلام الصحافة والادب والسياسة • وبذلك أدى خدمة هي خير ما يرجوها عراقنا الحبيب وثوارنا الابطال •

بغداد ـ المنصور ـ ١٩٧٦/٦/٥

المؤلف

الفصل الاول

حيــاته

– ١ –

هو يوسف بن حمود بن مهدي ، ولد في النجف الأشرف عام ١٩٠٠م من اسرة عربية ينتهي نسبها الى آل رجيب فلقب بهذا اللقب • وقبيلة آل رجيب هذه فخذ من قبيلة خفاجة نزحت الى النجف في أواسط القرن الثالث عشر للهجرة لكسب العيش ، قبيلة تعتز بالقيم العربيـة وتتمسك بقواعـد الدين • كان والد المترجم له يمتهن العطارة[٢] ولم يبلغ المولود الرابعة من عمره حتى فجع بفقد والده فحرم من نعم الابوة وحنانها ، فكفله أخوه « ناصر » الذي خلف أباه في عمله ، ورعاه رعاية أخوية ، حيث ادخله الكتاب ، وكان رجيب خلال دراسته يعين أخاه في حانوت العطارة ، وقد أكمل الدراسة التقليدية التي كان يتلقاها كل النجفيين يومذاك ثم واصل دراسته في الصحن الشريف على يد «الملائيين» لدراسة النحو والصرف والادب ، غير انه لم يمكث طويلا بل رغب في دراسة الكتب القديمة لوحده فأنكب على دراسة كتب التأريخ واللغة والادب يرتشف من معينها وينهل من معانيهـا • وقد أعجب الفتى بالشعر اعجابـا منقطع النظير فصرف كل جهده على مطـالعة دواوين الشعراء وبخاصة ديواني أبي تمام والمتنبي ، الشاعرين اللذين ملكا عليه عقله ، وكان المتنبي بالذات قد استحوذ على زمام تفكيره وأستلب اعجابه وتقديره ، فلا عجب والحالة هذه ان يتخرج رجيب على يد هذا الشاعر أديبا ساخرا وناقدا فذا • لقد تضافرت عوامل متعددة على تكوينه فكان البيت أول مصدر استمد منه الفتى جزءاً من عقيدته الاسلامية والعربية التي عرف بها ،

(٢) بيع المواد الغذائية كالفلفل والافاويه وغيرها •

وثمة مصدر آخر أعانه على هذه العقيدة هو الدراسة الخاصة في حلقات الشيوخ والاعلام على الطريقة القديمة التي كانت متبعة في النجف خاصة والعراق عامة ، لهذا وجدناه يسخر من المحاولات الادبية الحديثة ويتعصب للشعر العمودي • ونتيجة طبيعية لهذا الاتجاه نشأ ، بحكم ثقافته ، ميالا الى الجزالة في التعبير واحسن في الاداء • والروعة في ضرب الامثال ، وان أدت به بعض الاحايين الى استعمال الغريب في شعره وفي بعض كتاباته الامر الذي حدا به الى مطالعة المعجمات اللغوية ، لا مراجعتها ، كما يطالع أي كتاب• وقد اشتهر بين أصدقائه ، انه كان يتأبط «المنجد» في غدوه ورواحه فاذا ما أراد نظم قصيدة أو كتابة مقالة استعان بهذا المنجد حفاظا على سلامة لغته وقوة بيانه • ومما هو جدير بالملاحظة في هذا الباب ان آراءه التي احتوتها مقالاته الاولى كانت متأثرة بدراسته القديمة في الصحن الشريف الذي كان يموج بكثير من الافكار السياسية الجديدة التي تعتمد على العواطف الوطنية والحماس الديني • متأثرة بالحركة الاصلاحية التي تزعمها « الاخوند الملا كاظم الخرساني » منذ مطلع القرن العشرين حتى عام ١٩١١ وهو عام وفاته ، وأخذ الخرساني من النجف مركزا وتجمعا للاحرار لمقاومة المخططات الاستعمارية التي كانت تجري في الخفاء على مسرح الشرق الاوسط ، بتدبير من العثمانيين والانكليز والروس ، اذ عمدت الدول الثلاث مقاومة الافكار الاصلاحية التي نادى بها الخرساني بطرق شتى حتى اجهزت عليها بعد وفاة زعيمها ، بل جعلتها سبّة عند العامة وكفرا والحادا لان أعداء الفكرة الاصلاحية استطاعوا ان يسخروا لغرضهم هذا كثيرا من أدعياء الدين ومع هذا وذاك فان تلك الافكار الاصلاحية ظلت كامنة في ضمائر الاحرار على الرغم من مقاومتها العنيفة ، وبقيت مختزنة في عقول رواها لا يجاهرون بها خشية الدهماء الذين تسندهم السلطة ويحركهم الدجالون والمشعوذون ، وعلى الرغم من كل هذا ، عادت حركة الخرساني

الى الظهور في لون جديد ونزعة متمثلة في تلقي العلوم الحديثة متخذةمن البيوتات الوطنية ومن الجوامع والمساجد والمدارس الدينية مركزا لها يقودها فئة ممن تأثروا بآراء الخرساني ومريدوه • أخذت هذه الفئة تلقن تلامذتها من مرتادي هذه الحلقات الدراسية في الصحن الشريف مباديء تلك الحركة الاصلاحية التي ترتكز على المطالبة بحق مغصوب وحرية مسلوبة وتحرير وطن محتل •

وكان رجيب من بين اولئك الشبان الذين استقطبتهم مبادؤهاوالتبشير بها ، وعندما تأسست مدرسة الغري عام ١٩٢١م انتسب الى قسمها المسائي يدرس العلوم الحديثة ويثقف نفسه ، وفي هذه المدرسة تبلورت أفكاره وتحددت اتجاهاته ، كما أن للوسط الفكري الذي سادته الأراء الوطنية والافكار السياسية الاثر الاكبر في تكوين عقيدته • هذه الامور كانت الدافع والمحرك لكاتبنا على مسايرة الثورات والتأثير بها كثورة النجف ضد الاتراك عام ١٩١٥م، وثورتها على الانكليز عام ١٩١٨م ، وأحداث ثورة العشرين ، عاش الفتى كل هذه الاحداث وهو يجمع بين عمله لكسب رزقه في دكان العطارة ، وبين دراساته وتتبعاته الثقافية •

وفي غمرة هذه الاحداث وتأثير تلك الافكار والآراء تميزت أفكاره الوطنية وكانت سابقاً أفكارا حماسية لا حدود لها ولا اطار ، وانما كانت أفكارا حماسية تسيطر عليها العاطفة الوطنية ، طابعها النقمة على المستعمرين والحكام الظالمين اذ عدت كل الفئات السياسية يوم الاستقلال السياسي الغاية الاساسية والهدف الاخير • لذلك كان سهلا على دهاقنة الاستعمار وعملائهم ان يقنعوا البعض بالشكل الملكي للاستقلال المنتظر • لكن الشباب المتأثرين بمدرسة الخرساني والمتشبعين بالروح الوطني الجياش ، وفي مقدمتهم رجيب لم تنطل عليهم هذه الحيل والالاعيب للحكم الملكي المبطن الموالي

للاستعمار فتمرد عليه وظل طوال حياته مناوئاً له بما يكتب وبما ينظم ، شأنه في ذلك شأن جميع المناضلين من رفاقه •

لقد عمد الرجل في حياته الى بث الشعور الوطني بين صفوف الشعب ودعوتهم للالفة والمحبة والاتحاد ، وايقاظ الشعور القومي ، وتنبيههم الى ما يتطلبه الوطن من تضحيات وفداء •

والغريب في أمر رجيب أنه لم ينتم الى أي حزب أو اية كتلةسياسية طوال حياته حتى حزب النهضة العراقي الذي كان يتولى اصدار جريدته، لكنه أيد بفكره وعقله جميع الاحزاب الوطنية المناوئة للاستعمار • ونتيجة لهذا نجد تفكير رجيب قد تطور وطراز حياته هو الأخر قد تغير لتطور الايام واختلاف حوادثها ، مما دعاه الى ان يهجر مهنة العطارة التي لم تكن تؤمن حاجاته فأخذ يجمع بين الدراسة في القسم المسائي من مدرسةالغري والتدريس في القسم الصباحي فيها • وبعد أن استكمل مقومات ثقافته رأى بثاقب بصيرته أن خير مهنة يمتهنها تخدم الوطن أولا وتؤمن العيش الشريف ثانياً هي مزاولة الصحافة ، فأصدر جريدته الاسبوعية « النجف » عام ١٩٢٥م ، وهي أول مجهود صحافي وأدبي ينهض بـه حيث وفق في نشر آرائه بما امتاز به من جزالة في الاسلوب ومعالجة مشكلات المجتمعمعالجة جدية استقطبت نفوس قرائها فكانت خير دليل على كفاءته الادبية ومقدرته على الاضطلاع بشؤون الصحافة التي وسعت من آفاقه الفكرية وعلاقاتـه بالمجتمع • وهكذا جمع بين الدراسة والتدريس والعمل الصحافي ليحقق طموحاته ، فهو نموذج لشاب جد وكافح حتى وثب من شهادة بسيطة الى النبوغ وثبا ، وطار بأجنحة انتزعها من قلبه واصطنعها بارادة قوية اعتمدت على المجهود الشخصي اكثر مما اعتمدت على التثقيف والتلقين وهذه هي سيرة النابغين الذين يبنـون مجدهـم بعصاميتهـم النادرة ويقيمـون كيانهـم

بمجهوداتهم[٣] • غير ان المحيط الضيق في النجف لم يكن ليرضي آماله ورغباته كما ان جريدته ـ النجف ـ ما كانت ترضي طموحه أو تشبع رغباته الوطنية فنزح الى بغداد عام ١٩٢٧م حيث مجال العمل الوطني اوسع وميدانه أفسح • عمل مدرسا في المدرسة الحسينية الاهلية • وكان خلال ذلك يدرس الكتب المختلفة فأثرت في نفسيته وألهمته كفاحه وزادته صبرا على آلامه وآلام امته يوم كانت تنتاب الشعب موجة اليأس، وتسوده مشكلات اجتماعية، وسياسية قد أثقلته وعمته النقمة على الرجال الذين سموا بالزعماء ظلما، والذين تصدروا قيادة الامة في غفلة من الزمن ، وقدموا خيرات الوطن أكلا مستساغا للاجنبي وأعوانه •

كان رجيب يعتقد اعتقادا راسخا ان الاستعمار البريطاني الجاثم على كاهل العراقيين ليس نتيجة لفرقة العراقيين وتعدد آرائهم وانما لضعف ايمانهم وتفكك أخلاقهم ، وكان يؤمن بانه لا حل لهذا الا التمسك بالدين ، والدين في حقيقته يدعو الى التمسك بالوطن ، وحبه دليلا على هذا الدين حيث « حب الوطن من الايمان » • وقد نشر في هذا كثيرا من المقالات • شاءت له الصدف في بغداد ان يتصل بكثير من الساسة والادباء والمفكرين من بينهم الكاتب الصحافي المعروف ابراهيم صالح شكر وزادت صلته به في المشاركة بتحرير جريدة « الزمان » التي أصدرها ابراهيم عام ١٩٢٧م • وقد كتب رجيب كثيرا من افتتاحياتها ومقالاتها • وعندما صدرت جريدة «النهضة العراقية» لسان حزب النهضة في شهر آب من السنة نفسها • تولى « يوسف » رئاسة تحريرها •

وهنا هيأت له الظروف الظهور على مسرح الاحداث السياسية في بغداد بشكل واضح وبخاصة في الحفل التأبيني الذي أقيم في ملهى الاوبرا للمرحوم « شعلان ابو الجون » الذي أطلق أول رصاصة في ثورة العشرين • فظهر

---

(٣) لتفصيل ذلك راجع : « مجلة الغري » ، العدد ٢٣ ص ١١٤ ، عام ١٩٤٧ «رثاء رجيب» بقلم موسى السبيتي •

رجيب خطيبا ، ثائرا ، ناقما • هذا الامر حدد مصيره السياسي يوم كان العمل السياسي في تلك الفترة لا يتم لشخص ليس لديه الحدود الدنيا من الكفاية المعاشية ، فضرورات العيش تقهر الانسان ، أحيانا ، على التنازل عن آرائه ، ومبادئه ، أو عدم الجهر بها خشية الفقر والعازة أو الفصل ، والطرد من الوظيفة ، لكن «رجيب» رغم حاجته وفاقته ، نازل الساسة والحكام الظالمين موقنا بمصيره ونهايته • خشيت السلطات الحاكمة قوة قلمه وصلابة عقيدته فحاولت الضغط عليه ومحاربته في رزقه ، كما حصل لهيئة المدرسة الحسينية التي يدرس فيها ، طالبة فصله منها ، ولما علم «رجيب» بالامر اضطر الى الاستقالة خشية احراج زملائه وهو بأشد الحاجة الى مرتبه • قاسى الرجل بعد الاستقالة الاضطرارية من العازة والفاقة الشيء الكثير ، مما اضطر معها الى قبول وظيفة « مفتش استهلاك » في مدينتي الهندية والمسيب[٤] عام ١٩٣٤م • وفي العام نفسه نقل الى سوق الشيوخ بوظيفة « مدقق مالي » وبعد مباشرته عمله ببضعة أشهر قامت ثورة سوق الشيوخ عام ١٩٣٥ يوم كانت تعج بالانتفاضات للانتقام من الاستعمار وعملائه الحكام حيث احاطت القبائل بالسوق لاحتلالها فما كان من السلطة الا وقذفتها بقنابل الطائرات ، ومع هذه القسوة دخلت القبائل المدينة واحتلتها[٥] • وقد تألم رجيب كثيرا لهذه البادرة الخطيرة التي دفعت بالقبائل للقيام بهذا العمل • وبدافع هذا الشعور أخذ رجيب يتصل برؤساء قبيلة « حجام » والقبائل الاخرى للتفاهم مع الموظفين الذين أسروا من قبل القبائل ، ولتقريب الآراء ، ولتلافي ما حدث ، والتحذير مما سيقع • غير ان وساطته هذه باءت بالفشل وأخذت التهم تحاك لرجيب وللابرياء • فأحيل الى المجلس العرفي

---

(٤) كان مقرها مدينة الهندية •

(٥) كان سبب هذه الثورة تافها للغاية • اذ كان النزاع أولا منحصرا بين السراكيل وصغار الملاكين بشأن رسم معلوم جعلته الحكومة للسراكيل •

العسكري في الناصرية متهما بالتحريض على الثورة[٦] ، لكن الزعيم الوطني « جعفر ابو التمن » تشفع له فاطلق سراحه •

وبعد أن أفرج عنه أخذ يشرح للمسؤولين اسباب الثورة ، وعللها، والدواعي لها مما حدا بالحكام التساهل مع الثوار والعطف عليهم • وقد وصف يوسف هذه الثورة بمقالات كثيرة أشاد فيها بعروبة القبائل في سوق الشيوخ ووطنيتها • كما اتحف صحف بغداد ومجلة الاعتدال النجفية بتلك المقالات ، ولعل وفاءه للثوار وحسن صنيعه ، كتابه الذي ألفه عن هذه الثورة ، ولم ير النور حتى يومنا هذا ويعد خير كتاب خطير في تأريخ سوق الشيوخ حيث اودعه جميع آرائه ومشاهداته عن هذه الثورة • بعد كل هذه الارهاصات عاد يوسف الى وظيفته منقولا الى الفلوجة ، وهناك توثقت صلته بالشاعر معروف الرصافي وبقي فيها الى عام ١٩٣٨م حيث نقل الى بغداد وبعد هذا نقل خدماته الى وزارة المعارف[٧] فعين ملاحظا للرسائل في ديوانها ، ولم تمض بضعة أشهر على وظيفته هذه حتى تقدم بطلب الى وزارة الداخلية مع زملائه ، «فؤاد عباس» و «حسن الاسدي» لتأسيس ناد باسم «نادي عكاظ » لكن الطلب رفض لاسباب[٨] سياسية • وفي عام ١٩٤٥ تشبث رجيب بالتعيين خارج العراق ، بوظيفة ملاحظ في المفوضية العراقية بدمشق فأجيب الى طلبه • وفي دمشق داهمه مرض السل عام ١٩٤٧ فقصد لبنان للمعالجة في مصح «ظهر الباشق» دون جدوى حيث وافاه الاجل في الثامن من حزيران عام ١٩٤٧ • فكان لنعيه صدى مروع في نفوس اصدقائه وعارفي فضله وأدبه • وقد أبنته الصحافة العراقية تأبينا يليق بمكانته •

---

(٦) راجع : « يوسف رجيب فقيد الادب والعرب » « معن العجلي » ، ص ٥٩ •

(٧) وزارة التربية •

(٨) راجع جريدة البلد ، العدد ٩١٥ في ٥ حزيران ١٩٦٧ • « يوسف رجيب » بقلم حسن الاسدي •

تلك هي ملامح الأديب رجيب ، صحفي قارع الباطل وعجم عود الحياة وذاق مرارتها ولم ينعم بحلاوتها ، أحب وطنه وأخلص لامته فبادله أبناء وطنه حبا بحب ، على ان هذه الامور ما كانت لتشفع له عند جيلنا المعاصر • فنسي من غير حق ، وأهمل من غير ذنب ، وضاعت القيم الانسانية ازاء هذا الكاتب الاديب الصحفي النزيه والسياسي المعارض ، اذ عاش متمردا وقضى نحبه منسيا شأنه شأن النابغة في بلادنا وكأنه لم يولد ويموت كأنه لم يعش لان الحياة في مواكبها الزاخرة ما تزال شقاء لا مخرج منه وعذابا لا نهاية له •

مات رجيب وهو غامض ومبهم الى حد بعيد من أصدقائه وأعدائه لان علاقته بعالم الحياة كانت دقيقة جدا وغامضة ، ومحاطة بمشكلات مستعصية الحل ، شأنه شأن ذوي المواهب النبيلة التي ترقى بهم الى ما انتهوا اليه ثم يقفون الى الابد خلا شعلة من مآثرهم الخالدة تنير لمن يستنير بها وتسير ولا تقف عند حد •

الفصل الثاني
يوسف رجيب بين الادب والصحافة

- ٢ -

في تاريخ الصحافة العراقية منذ صدور أول جريدة عام ١٨٦٩[٩] حتى يومنا هذا عدد ضخم من الصحافيين البارزين الذين جاهدوا وناضلوا في أقسى الظروف وأحلكها فما استكانوا ولا وهنوا لكن مرور الايام وتعاقب الاحداث[١٠] نسوا من غير علة وأهملوا من دون سبب • كان اولئك الصحافيون الادباء رواد أمتهم فلم يكذبوها ، وكانوا عظماء في عملهم ،جنودا في كفاحهم • ولكل عظيم في أمته سيرتان سيرة شخصية ، كما حدثتك سابقا ، هي خلاصة تأريخه وتأريخ أسرته ، وسيرة سياسية هي عبارة عن تأريخ الامة التي وجد فيها أو تصوير للمجتمع الذي عاش بين جنباته ممثلا في شخصه أو تأريخ العصر الذي مر به • فاذا صح هذا فنحن أمام يوسف رجيب الاديب والصحافي الذي وهب عقله وقلمه ونفسه لشعبه ، ووقف على خدمة أمته قلبه وجهده بأدبه وصحافته • فهم رجيب الصحافة والادب على انهما سياسة واجتماع ودين • وفهم أن الصحافة مرتبطة بالادب ارتباطا وثيقا ، فهم الصحافة على انها بنت الادب وانها هي التي أعانته على النهوض والديمومة والنمو • هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان مؤمنا بالصلة الوثيقة بين الادب والسياسة ولا يمكن فصلهما بأية حال من الاحوال لاعتقاده ان الادب يصور العصر وان العبث بحرية العقل تعطيل للمواهب

---

(٩) تعد جريدة الزوراء أول جريدة عراقية صدرت عام ١٨٦٩ لمؤسسها مدحت باشا العثماني •

(١٠) راجع جريدة البلد البغدادية ، العدد (٩١٥) في ٥ حزيران عام ١٩٦٧ ، يوسف رجيب •

وافساد للفطرة وقتل الابداع والانسان الحر هو الذي يقول ما يعتقد ،وعلى هذا فلا أدب بدون حرية ، فاذا كبل الاديب بقيود نكون قد ساعدناعلى ايقاف نموه وقتلنا فيه مواهبه الفطرية التي تحتاج إلى مران ودراية ، والا ماتت وكأنها لم تكن ، كما ان الشعب هو الآخر يصبح راكد الحس مقيد العقل[١١].

ومع كل هذا فان النهضة الادبية والصحافية المعاصرة مدينة لاولئك الرواد الذين جعلوا من الصحافة منبرا حرا للتعبير عن آراء الشعب وتوجيهه وايقاظه من غفلته ، منهم ، على سبيل العد لا الحصر ،عبداللطيف ثنيان صاحب جريدة الرقيب ، و « داود صليوه » « صاحب صدى بابل » و « فهمي المدرس » و« ابراهيم صالح شكر » و« أحمد عزة الاعظمي » و« ابراهيم حلمي العمر» و «الرصافي» و«الزهاوي» و «محمد رضا الشبيبي» و «حسن العلوي» و«المترجم له»٠

وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا أن رجيب ارتفع الى مستوى كبار الصحافيين والادباء بعصاميته النادرة ، وان كتاباته الادبية ومقالاته الصحافية تمثل الى حد كبير ، تطور النهضة الادبية والصحافية والسياسية واتجاهاته المختلفة من عام ١٩٢٥م وحتى عام ١٩٤٧م حيث سخر قلمه لخدمة الاغراض الوطنية والادبية بقدر ما سمحت له ظروفه واعانته مواهبه٠

لقد كان بحق وجداره ، صحافيا ماهرا ، وأديبا مرموقا ،ووطنيا من ذوي الرأي ، وحملة الاقلام الجريئة ٠ وان آثاره التي خلفها لتدل دلالة واضحة على نبوغه الفكري ، وعبقريته النادرة ، اذ شهر قلمه مصارعا الباطل منددا به لايمانه أن حملة الاقلام الاحرار يجب أن يحملوا نفوسهم

---

(١١) لتفصيل ذلك راجع : د٠ عناد الكبيسي « الادب في صحافة العراق» ص ١٩٥ مطبعة النعمان ، النجف عام ١٩٧٢ ٠

مسؤولية عظيمة لخدمة الوطن فان ماتوا كانوا أدباء بؤس وأحرار فكر .

والتاريخ يحدثنا ان الادباء يوقظون النفوس ، ويحركون الهمم ، ويشحذون العزائم . لانهم ركائز النهضات ، وأسباب الثورات ، واول الصاخبين في وجه الطغاة[12] ولهذا رافق يوسف الحركة الوطنية وكافح كفاح أحرار بما كان يترجمه من آراء مما ألحق به أقسى الاضطهاد والحرمان من اعتقال ومراقبة وفصل من الوظيفة ، لكنه مع هذا بقي ثابتا على مبدئه وعقيدته ، بما اتصف به من شجاعة ومجموعة مواهب وخصال قل اجتماعها في شخص انسان امتحنته التجارب ، والمحن فتجرع مرارتها وقاسى آلامها سواء في كتاباته الصحفية أم الادبية ، وفي كتاباته المتعددة ووظيفته الكتابية . وقد أتعبته الاولى ولم ينتفع من الثانية .

اتصل رجيب بكثير من رجالات الصحافة فشغف بها وأحبها فامتهنها كرسالة نزيهة ، لا كما امتهنها بعضهم وسيلة للكسب والارتزاق واللعب على الاذقان ، كان موقنا ان الصحافة رسالة سامية ، عليها واجبات ولها حقوق. فهي أداة اصلاح وتوجيه وارشاد ، ومن هنا أعطى رجيب للكلمة الصريحة حقها، وللحرف النزيه معناه ، ومع كل هذا فان الساسة ناصبوه العداء وقسوا عليه فغادر الوطن نازحا الى لبنان وسورية فكان خير سفير للمظلومين والمعذبين حيث شهدت له بذلك صحف القطرين .

جاء في مجلة الغري قولها : « ... من الانصاف ان يسجل تاريخ الصحافة العراقية « لرجيب » أيادي بيضاء فقد كان صحافيا نزيها التزم بصلابة المبدأ وقوة العقيدة ، واتخاذها رسالة ، وخدمة للنهوض بالمجتمع»[13]

---

(١٢) راجع مجلة الغري ، العدد (٢٤) ٤٦ ص ٦ «يوسف رجيب» بقلم حمدي آل حمدي .

(١٣) العدد (٢٣) ، ص ٥٩٦ «يوسف رجيب الصحافي» بقلم مهدي القزاز .

كانت جريدته «النجف»[14] باكورة جهاده الادبي والسياسي يوم كان العراق تحت وطاة الاستعمار البريطاني يحرك الملوك حيثما شاء ، واينما اراد ، وفي جريدة النجف تجلت نزعته الاصلاحية ، وظهرت بوادر الجهاد السياسي بعد ما ران عليه الجمود مدة بعد فشل ثورة العشرين حربيا • يقول الكاتب الصحافي رفائيل بطي:

« عرفت (رجيب) أول ما عرفته بجريدة (النجف) تحمل بين طياتها نزعة الى الاصلاح ، وغيرة على القضايا العامة ، وجرأة في النقد ، ورغبة في تقدير القيم الفكرية واهتماما بخدمة الادب»[15]•

لم تواته الظروف السياسية على الاستمرار في عمله الصحافي بالنجف، فأنصرف عن تأدية رسالته قاصدا بغداد وفيها تعرف «على الحاج أمين الجرجفجي» أحد زعماء حزب النهضة العراقي فأوكل اليه رئاسة تحرير جريدة «النهضة» لسان الحزب متخذا منها وسيلة لنشر آرائه الوطنية وأفكاره الادبية ، ولم يكتف بهذه الجريدة وانما كان على اتصال بصحف بغداد كافة• فكان يوافيها بمقالاته التي تتفجر ثورة وعنفا ضد أعداء الوطن وسالبي حريته[16]• لقد هيأ الله »لرجيب« ان يواصل جهاده الصحافي ، والسياسي في مسقط رأسه (النجف) ثانية بصدور « مجلة الاعتدال » التي كانت تتمة لجهاد (جريدة النجف) التي غرست فكرة الثورة الادبية والسياسية في نفوس شباب النجف المتمرد على الأراء البالية ، والمعتقدات الخرافية ، وفي مقدمة اولئك المتمردين «محمد علي البلاغي » صاحب « مجلة الاعتدال » ومدير

---

(١٤) جريدة أدبية اجتماعية انتقادية أصدرها في النجف ظهر عددها الاول يوم الجمعة ١٧ نيسان ١٩٢٥م واحتجبت بعد سنتين من صدورها •

(١٥) مجلة الغري العدد ٢٤ •

(١٦) لتفصيل ذلك راجع « مجلة الغري » العدد (٢٣) ص ٢٩ « يوسف رجيب فقيد الادب والعرب » للعجلي•

ادارة جريدة النجف المحتجبة والتي كانت تتصاعد فيها أنفاس الاديب يوسف رجيب ضيقا وتحرجا للجمود الذي ابتليت به بعض النفوس التي لم تقبل أية دعوة للاصلاح ولم تلن للحق • ظل يوسف على اتصال وثيق بهذه المجلة فتفتحت على صفحاتها منافذ نفسه ، وأشربت روحه بأهداب العدل ، متصلا في كل هذا بالعقل العربي ، متلقيا منه كل ما يرسله ويتمخض عنه[١٧] • وقد تعرف على الكاتب الصحافي ابراهيم صالح شكر فزادت الصلة وبناء لكل مشكلة مما استلب اعجاب الشباب المثقف الذي كان يتلقف يشغل الصفحة الثانية من كل عدد ، ناقدا فيها الاوضاع آنذاك بأسلوب أخاذ ، ونقد بناء لكل مشكلة مما استلب اعجاب الشباب المثقف الذي كان يتلقف كل عدد من أعداد هذه الجريدة لينعم بما يدبجه «رجيب» وما يعرضه من حوار ويتناوله من نقد بأسلوبه التكهني اللاذع ، وعن طريق كتاباته وكتابات اخوانه الصحافيين تثقف كثير من القراء اذ لم يكن يومها مدرسة تعنى بشؤون السياسة والاجتماع غير الصحافة[١٨] • أخذ يبث في هذه الجريدة كل ما يصبو اليه الشعب من تحرر واصلاح ، معبرا عن شعوره وأحاسيسه الوطنية بما كان ينشره فيها من مقالات صارخة ، معبرة عن مطاليب الشعب ، وحاجاته الاصلاحية • فهو ، والحق يقال ، من قادة الفكر في العراق ومن اعلام الجهاد ، ومن دعاة الاصلاح • واكب الحركة الوطنية ورافقها في مختلف ادوارها ، وساهم فيها بنصيب وافر ، ولم يضن عليها حتى بنفسه فضلا عن قلمه ولسانه ، ولاقى في سبيلها من العنت والارهاق والحرمان • عزل من وظيفته ، المورد الوحيد له ، ولمن يعوله ، لكن كل ذلك لم يصرفه

---

(١٧) راجع المصدر السابق •

(١٨) قابل : المصدر نفسه ، ص ٥٩٦ «يوسف رجيب الصحافي» بقلم مهدي القزاز •

عن متابعة جهاده غير عابيء بما قد يؤدي اليه ذلك. يقول محمد مهدي كبه[١٩] في هذا الباب:

« لقد تعرفت على شخصية يوسف منذ ايام الجهاد الاولى فآنست فيه الصدق ، والوفاء ، والشمم ، والاباء ، والجرأة ، والصراحة ، وسمو الروح ، ونبر النفس ، ورقة الاحساس الى شعور وطني فياض[٢٠] »والمتصفح لما كتبه في جريدة النهضة يجد مقالاته الوطنية الملتهبة والمعبرة عن كل ما يجيش بذهنه الوقاد من نزعات حرة دعا بها الى خدمة العرب والاسلام واعلاء شان العراق اذ نشر له ما يقرب من تسعمائة مقال فيها وكان معظمها خلوا من توقيعه ، وله كتابات شائقة مسلسلة في مجلة البيان بعنوان «المواعيد» كما أتحف الصحافة العربية بمقالات شتى.

يذكر الصحافي خالد الدرة في مقال له بعنوان : «أدباء عراقيون عرفتهم » : « .. اني لاذكر عنه .. « يوسف رجيب » انه كان يحرر جريدة النهضة لكنه لم يكن منتميا الى الحزب الوطني ... وما ذلك الا ليسد رمقه وهو في أيام نضاله ، وأي رمق كان يسده هذا الوطني الابي «أكلة ساذجة في مقهى» (أبي علي) في الباب الشرقي يجتمع بها مع صديقه ابراهيم صالح شكر، ويعقبها بأنفاس من النارجيلة ليخفف بها حرقة صدره ، غير ان هذه الانفاس قد خرقت صدره العامر بالايمان الوطني »[٢١] .

ولسنا نجاوز القصد اذا قلنا ان «رجيب» كان رائدا من رواد الادب السياسي والكفاح الصحافي ، لما امتازت به كتاباته من معان تزخر بألوان النقد السياسي اللاذع ، وما تشيع فيها من صوره القلمية ، ولمحاته الصحافية

---

(١٩) رئيس حزب الاستقلال العراقي.
(٢٠) مجلة الغري ، العدد ٢٣ ، ص ٥٨٠ .
(٢١) مجلة الوادي ، العدد الثامن ، ١٩٤٨ .

من استلهام لاعماق الاحداث وصور الاشخاص العامرة بالطريف الظريف ومن النكت الدالة ، والمفارقات التي تعكس تاريخ الحوادث التي تناولهـا بقلمه البارع واسلوبه الساخر ، ولسنا مبالغين كذلك اذا قلنـا ان «رجيب» صاحب مدرسة اعتمدت على اعداد وتخريج الكتاب الذين كان لهم دورهم في الادب العراقي الحديث والصحافة .

لقد دخل معمعة الصحافة يوم كانت حملا ثقيلا ومهنة شاقة تجلب على ممتهنيها الويل والثبور ، والحرمان والسجون ، في وقت عصفت فيه زوابع السياسة واحتدام القوم في جدال ومناقشات لا طائل تحتها ، وكان للانجليز الحكم الفصل ، وكانوا الآمرين والناهين في شؤون السياسة والصحافة ، فكنت ترى الصحافة بين مد وجزر وبين التعطيل والغاء الامتياز . وفرض الآراء الموالية وتحبيذ استعماره ، واظنك تشعر بالمرارة والالم عندما تقرأ صحافة الاحتلال ، والعهد الملكي فهي أقل ما يقال فيها صحافة حاولت بشكل أو بآخر القضاء على الشعور الوطني . استمع الى أحد الصحافيين ـ غفر الله له ـ مادحا المحتل ومتمنيا بقاءه الى الابد حيث يقول : «أهلا بكم وسهلا يا ايها البريطان فيمثلكم ليفخر الانسان ، اذ جبلتم على كل حسنة وعلى كل مكرمة تشكر . فنحن لا ننساكم وان طال الامد ، ونحن نلهج بذكركم وان عشنا عمر لبد ، بل الى الابد ، فأهلا بكم وسهلا فلقد نزلتم على سعة وأبقوا بجانبنا الى أن تقوم الساعة»[٢٢] . اما الوطنيون من الصحافيين في مختلف العهود فقد وقفوا وقفة جبـارة لمناهضـة الآراء الاستعمـارية ، لقـد وقف الصحافيون الاحرار أمام امتحانين لا ثالث لهما . اما ان يستجيبوا لرغبة الاسرة المالكة وأسيادها الانجليز واما ان يتركوا العمل الصحافي . فأختاروا الطريق الثاني ريثما تتكشف الامور وتتيح الفرص للكفاح الصحافي . فكان

---

(٢٢) مجلة دار السلام ، العدد الخامس سنة ١٩١٩ .

رجيب ممن اختار طريق زملائه هذا منصرفا الى الادب ليعبر به عن الحوادث الادبية والمشكلات السياسية بصفة أدب سياسي • وقد اتبع هذا الاسلوب في جريدته النجف سابقا مناوئا السلطات المحتلة بأعنف اسلوب وأقوى حجة مما أحدث رجة في الاوساط الادبية والسياسية •

الواقع ان الصحافة والسياسة استنفدتا كل جهوده • وأثارت عليه نقمة خصومه فأتعبوه وجرت عليه كثيرا من الاضطهاد • لقد كان بارعا كل البراعة في تسجيل الظواهر الشائنة في حياة كثير من الساسة والصحافيين المرتزقين ، وقد أعانه في هذا زميله الكاتب الصحافي المعروف ابراهيم صالح شكر • وطفق الاثنان يرسلان حممها على رؤوس خصومهما السياسيين ممن باعوا الوطن وخانوا الامانة ، فأحدثا بذلك لونا من الادب لم يحسن تلاميذهما بعدهما مزاولته والاجادة فيه ، غير ان رجيب لم يستمر طويلا في هذا الاتجاه الادبي السياسي ، ان صح التعبير ، للضغوط السياسية والادارية فأقصته عن ميدانه الاصيل ـ الصحافة ـ جبراً وصفدته بقيود الوظيفة •

الواقع ان تلك النكبات وهذه الوظيفة ما كانت لتصرفه عن كتاباته الادبية ، وما كانت لتحول دون اظهار ما كمن في نفسه من صور الحياة التي عانى أهوالها وكابد مصاعبها ، اذ نشر فصولا ادبية رائعة عن بعض حوادث الثورة العراقية التي تغلب عليها روح الاديب الملمة برصيد ضخم من الحوادث الممضة ، ويلوح عليها اسلوبه الادبي الذي لم تصرفه صرامته على أن يلبس احكامه ثوبا قشيبا من اللفظ العذب • ولك أن تقرأ قصة (الحاج نجم البقال) و «ضحية» و «ذكريات» لتجد الروعة في التصوير والسحر في اختيـار الالفاظ ، ولو أن القدر أمهله لدون لنا تأريخ الثورة العراقية بهذا الاسلوب الذي يجعلها في مصاف الثورات الادبية[٢٣] • لان «رجيب» الى الادب أدنى

---

(٢٣) راجع : عبدالقادر البراك «أعلام من الشرق» ، ص ٧٢ •

منه الى الصحافة ، وأدبه هذا يتصل بالاحداث ويصور الحياة ويتأثر بالمشاهدة والملاحظة ، ويثور قلمه ثورة عنيفة اذ بدا له ما ينفر منه المخلصون ، لقد نهل من الادب العربي الشيء الكثير ، وسما بادبه وسيلة للكشف عن مختلف شؤون المجتمع والحياة ، وعرض صورها عرضا يتفق وواقع الحال.[24] لهذا جاءت كتاباته الادبية صورة حية لدقائق الحياة ورجال السياسة والادباء • كان صحافيا لامعا اتخذ الصحافة وسيلة لمعالجة مشكلات البائسين والمحرومين ، وعرض انين المظلومين بانماط قصصية رائعة ، معبرة عن ارائه الوطنية الحبيسة المتوثبة على الظلم والاضطهاد • ولك ان تقرأ «نجم البقال» لتجد الروح الوثابة لتحطيم قيود الاستعمار ، وقصته « ينتقم لشرفه » ومثلها «ذبيحة» و «الشيخ قادر» يعطيك فيها الملامح الواضحة لما احاط بالعراق من ظلم وجهل وفقر • لقد خاض الكاتب ميدان السياسة والاجتماع والادب في جريدته ، وفي كل جريدة كتب فيها أوراس تحريرها ، وبذلك كسر الطوق الذي طوقت به الصحافة يومذاك ، في اعطاء الامتيازات لطالبي اصدار الصحف • وفي تصنيفها صحفا سياسية وأخرى أدبية ، تصنيفا يقوم على الفصل التام بين الادب والسياسة ، وبذلك تسنى له أن يجعل من الصحافة وسيلة لعرض الاراء السياسية والادبيةوالاجتماعية في الصحيفة نفسها ليكون في مقدور محرريها تقديم مشاهد الحياة المختلفة وحوادثها المتباينة للقراء بأدب هادف وأسلوب ممتع لايمانه بأن الادب هو الحياة بجميع أبعادها ، من خير وشر ، فضيلة ورذيلة ، وان الادب سواء أكان سياسيا أم صحافيا أم اجتماعيا لابد له أن يكون لصيقا بالمجتمع وبالحاة والا كان صورة ممسوخة لا حياة فيها ولا حركة • ومن هذا المنطلق جمع يوسف بين هذه الفنون في كل كتاباته ، ودعا بجرأة لا حدود

(٢٤) راجع : مجلة الغري ، العدد ٢٣ ، ص ٦١ عام ١٩٤٧ •

لها الى التحرر السياسي والاجتماعي والادبي مهيبا بأبناء وطنه على التمسك بالمبادىء القويمة والتعلق بالحرية لبناء مستقبل زاهر والدعوة الى الديمقراطية في بناء كيان المجتمع • لقد صرخ رجيب في سماء العراق معلنا رأيه المدوي في وجه الحكام ان لا فصل بين الصحف الادبية والسياسية فيما اذا عالجت الصحيفة الادبية موضوعا سياسيا واذا كتب الاديب مقالا سياسيا لان الاديب هو قائد الامة وعقلها الموجه والادب هو الآخر لا يمكن ان يحصر في دائرة مغلقة، ولا يصح بأية حال من الاحوال أن يكون تابعا لتفسيرات معينة طبقا لامزجة الحكام والمسؤولين ، كما انه من غير المعقول ان يحرم الادباء من ذلك الادب الذي يتناول السياسة والاجتماع والثقافة بصورة شاملة• هذا ما نادى به رجيب لايمانه ان الحياة متشابكة ، متداخلة ، في مختلف مناحيها، والادب الحقيقي هو صورة حية منتزعة من البيئة والمحيط والاديب ابن محيطه وابن الساعة التي يولد فيها ، والادب بهذا الاعتبار أثر من آثار الزمان والمكان ، وأثر من آثار المحيط بأدق معنى وأجلى صورة •

لقد ناوأه الخصوم فأتعبوه مما زاد في آلامه وأحزانه فوقع صريع الداء الخبيث « السل » حتى وافته منيته فأرتاح راحة ابدية ، وقد كتب لاحد أصدقائه قبل وفاته بأيام رسالة هي أقرب ما تكون الى خاطرة صحافية ، واصفا فيها ما يعانيه من آلام مبرحة قال: «أبا طالب ان هذا المرض ـ وقاك الله منه ـ أنا منه كراكب عزوم تقتحم بي الروابي ، والمخارم والجبال والسهول وليس في يدي منها حبل أو لجام ، غير ان يد الله ـ عز وجل ـ أخذت بشكيمة هذا الداء الوبيل فأوقفته عند حده بل أخذ يتضاءل والفضل له والشكر له ما حييت»[٢٥]• ذلك هو جهاده الادبي وهذا هو جهاده الصحافي ، وبموته فجعت الصحافة برائد من روادها •

---

(٢٥) مجلة الغري (٢٣) ، عام ١٩٤٧ •

الفصل الثالث

ـ أسلوبه ـ

ـ ٣ ـ

امتاز أسلوب رجيب بميزات قل أن اجتمعت في كاتب من الكتاب ، نذر الرجل نفسه للوطن ، وبذل كل قواه لخدمة الادب ، وتدعيم الروح السامية ، والاشادة بكل ما يرفع شأن العرب والاسلام عن عقيدة وايمان . لقد عرف « برأيه الصائب وبيانه الساحر وبصيرته المتقدة وحجته الدامغة وفكره الثاقب»[٢٦] عاش الاديب «رجيب» كما عاش امثاله من المجاهدين، وقضى نحبه مدافعا عن الحق بايمان ، وناشداً الفضيلة عن عقيدة راسخة ، مجاهرا برأيه ، مصرحا بعقيدته . وهب موهبة ادبية فكان لا يصدر الاعنها في كل كتاباته فجاء أسلوبه رقيقا مستساغا يتلقفه القراء من عشاق الادب والصحافة . أسلوب مبسط وسهل وواضح وبهذا الاسلوب خلق تلاميذ يحذون حذوه ، وليس غريبا ان يستقطب كتابا اقتدوا به ، ونهجوا نهجه وخاصة في النجف الاشرف . ولسنا نتجاوز القصد اذا قلنا ان «رجيب» شغل أذهان القراء بكتاباته وسحرهم بأسلوبه ، والممعن في مقالاته وآرائه وبحوثه في مختلف الصحف والمجلات يجد فيها الممتع المفيد والرأي الناضج السديد ، وان ما كتبه لدليل ناصع على انه وقاد الفكر يقظ الشعور ، صادق اللهجة وطني النزعة ، قوي العقيدة رابط الجأش واسع الاطلاع وله من جمال الاسلوب ، وشرف اللفظ ما استجلب به العامة والخاصة»[٢٧].

---

(٢٦) مجلة الاعتدال ، العدد التاسع ، السنة السادسة ، ١٩٤٧م محمد البلاغي .

(٢٧) مجلة الغري ، العدد (٢٣) ذكرى وفاته .

افتن القراء بأسلوبه منذ أن أصدر جريدته ـ النجف ـ، وأعجبوا بكتاباته وبخاصة الاقاصيص الكثيرة • وفوق هذا وذاك رزق ذوقا سياسيا مرهفا ، ومنح شجاعة نادرة مما كشف للناس عن خبايا الحكام ، وتحايلهم للايقاع بهذه الامة وتسليم مقاديرها للمحتل ، للاحتفاظ بكراسيهم الشخصية • فكشف الامور على حقيقتها فكانت برهانا ساطعا على حججه الدامغة وآرائه الصائبة[٢٨]• لقد اقلقته حوادث الدهر فأحالت حياته الى كفاح ونضال ، واهلته ليكون اديبا ثائرا ، وصحافيا مكافحا ، حاملا مشعل الحرية الفكرية، يوم كان العراق يعج بكتاب اتخذوا من أقلامهم وسيلة للارتزاق والتكسب، وغاية للوصول الى المناصب واقتناص المال الحرام ، والجاه الزائف ،وكان بوسع رجيب أن يستغل قلمه لمصلحته الشخصية ومنافعه الذاتية كما استغله الآخرون ، فيتملق زيدا ويداجي عمرا فيصطاد من المال ويقتنص من المناصب ما شاء ، ومن الحطام الذي يكال بلا حساب للدجالين والمرائين •

لقد ظهر رجيب بشخصية أدبية أصيلة فأدى رسالته بكل أمانة وصدق، ورسم لنا الصور الصادقة لارقى الصفات الانسانيــة الناطقــة بأروع المثل
ورسم لنا الصور الصادقة لارقى الصفات الانسانيــة الناطقــة بأروع المثل
والكاشفة لادق المعاني[٢٩]•

كان رجيب لصيقا بواقع امته ، وعذابها ، يهز يراعه فتهتز له القلوب وتصبو اليه النفوس ، يذب بقلمه عن الحق ، ويشهره في وجه الباطل بأسلوب مبين وعربية فصيحة ، وبصراحة تامة ، لحرصه الشديد في كتاباته على لغة العرب ، كما كان في الوقت نفسه متفتحا على اللغات الاخرى ، اذادخل

---

(٢٨) قابل : مجلة الاعتدال ، ص ٢٣٣ •

(٢٩) راجع : معن العجلي ، ص ٦٦ •

الكثير من الالفاظ التي لم يألفها الكتاب العرب ، وفيها من اللطافة والحسن والبعيدة عن نبو الذوق تجد هذا في كل كتاباته التي أودع فيها كل ما يعتلج في نفسه من التجديد والخواطر والآراء ورسم فيها كل ما تتطلبه المقدرة الادبية في التجسيد والتجسيم فظهرت تلك المقالات المختلفة آثارا فنية رائعة في نضوج الفكر وبراعة التعبير . امتاز يوسف عن غيره من الكتاب « باستخراج أصغر الامور ، واستظهار أدق الحقائق لذا ليس بدعا ان تظهر كتاباته وآراؤه الثورية ممزوجة بأصالة الرأي ، واستغلال الذهن ، وحرية العقل ، والنضج السياسي ، فضلا عن النضج الادبي . ومن هنا التقت في شخصيته ، شخصية الاديب المرهف الحس ، الدقيق الشعور ، المتفجر العواطف ، المتوقد الخواطر ، النافذ البصيرة البعيد النظر الجريء[٣٠] » لقد دافع الرجل عن قومه وتراثهم دفاع مؤمن أحبه قومه وأعجبوا به فبادلهم حبابحب فكتب لهم آلامهم ومآسيهم ولطالما ضحى براحته وسهر الليالي ، وهو مسهد يدبج المقالات ويحبر الاقاصيص معبرا عن ثورته على الشر ، محذرا من صولة الكريم اذا أهين ، والوطني اذا ذل ، مهيبا بالعرب على التمسك بمآثر الاجداد ،والحفاظ على لغة الحديث والقرآن ، مدافعا دفاع أديب أدرك عظمة اسلافه ولغتهم ، وهكذا قدم لنا الكاتب بأسلوبه صورة واضحة لاديب مطبوع جعل ادبه وسيلة لتصوير الحياة بأدق صورها ،ووقف كل نتاجاته لرفع شأن أمته ، ولك ان تتصفح اعداد جريدته ـ النجف ـ لتقف على الحقيقة ماثلة . وقد استقطب رجيب جمهرة الشعراء والادباء لنشر آرائهم على صفحاتها . فكانت لمقالاتهم الاثر الفعال في تحريك الشعور الوطني ، وايقاظ الحس القومي . كما شارك رجيب أخوانه في الجهاد مدة ربع قرن بجرأة نادرة وبروح وثابة مما انزله منزلة سامية في النفوس

---

(٣٠) مجلة الغري ، العدد (٣٢) «يوسف رجيب فقيد الادب والعرب » .

المتحمسة لتحرير الوطن ، والمتحمسة بالواجب ، يقول ما يعتقد ويعتقد ما يقول ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، غير متهيب في صراحته ،ولا فزع في مواطن الكرامة والمروءة • اما شجاعته الادبية فهي أبرز صفاته • كانت آراؤه وأفكاره صورة صادقة لنفسيته وميوله ، فهي مرآة صافية صورت أحاسيسه وعواطفه ، لهذا لم يكن محترفا بأدبه ، ولا متملقا بقلمه ، وانما اتخذه سلاحا ماضيا لاحقاق حق ، ورد حرية مسلوبة و « بهذا أدى رسالته الادبية ••• بوفاء وأمانة في كل ما كتبه ••• وكان في كل ذلك موفقا في مخاطبة القلوب ، ومناجاة النفوس»[٣١] • ولم يطلق رجيب في كل هذا آراءه عفوا وجزافا ، وانما كان يمحك ويدقق في كل شأن يحاول الكتابة فيه فجاء أسلوبه ملائما لهذه النظرة ، يزينه طابع التفكير العميق والرأي السديد ، وتوشيه صبغة التجديد • يختار الكلمة لتدل على معناها الاصيل ومبناها الصحيح ويضعها في مكانها المناسب ليجيء أسلوبه متسلسل العبارة تتصل كل لفظة من الفاظه اتصالا وثيقا بأخواتها ، وهذا ليس بغريب على رجيب ، لانه من عشاق اللغة المطورين لاساليبها • فهو في الحقيقة رائد من رواد المدرسة الحديثة في الترسل والبساطة في التعبير والوضوح وحرية التعبير المعتمد على الابانة والسهولة • وفي هذا يقول «يوسف رجيب»: «يجب على كل فرد منا ـ نحن المتعلمين ـ الذين نكتب وننشر أن نجدد قدر استطاعتنا كل مايعرض لنا من الالفاظ التي أمست ، مع الاسف الممض ، ثقيلة على الذوق العربي الخاضع للعجمة»[٣٢] • قيل له ذات مرة : « ان الكاتب فلانا يطالب في احدى المجلات العربية بضرورة تبديل الحروف العربية باللاتينية» • فقال : هو فلان • ألم تدر انه لا يمت الى العربية بأية صلة ••• اني أعتبر كل شخص، سواء

---

(٣١) مجلة الغري ، العدد (٢٣) ، عام ١٩٤٧ «الاديب الشهيد» •
(٣٢) «رجيب فقيد الادب والعرب» ، ص ٥٤ •

كان من العرب أم من غيرهم يحاول الغاء حرف واحد من لغة الضاد، عدوا للعرب»[٣٣]. ومما هو جدير بالملاحظة انك تحس ، وأنت تقرأ أدبه ، مأخوذا بآرائه مشدودا الى كتاباته ، مستأنيا له حتى يفرغ في مخيلتك كل ما يحمل من المعاني والاراء ، وتؤمن ، وأنت تتابعه في مقالاته ، انه انسان مجبول على نكران الباطل ، مفطور على الجهر بالحقائق ، ومتعود على الثورة في سبيل الوطن والفضيلة ، وتؤخذ بمتانة أسلوبه وجزالة الفاظه وعمق ثقافته وسعة اطلاعه . هذه الامكانات والمؤهلات هي التي دفعته الى خوض ميادين السياسة والادب والصحافة فظل طوال حياته يغذيها بعصارة فكره وخلاصة أعصابه ببلاغة واضحة وفصاحة ساحرة ، وصراحة خارقة .يحدثنا الشيخ عبدالحسين الحلي قائلا:ـ

» التفت ـرجيبـ الي ذات مرة وقال : « انتم أهل البيوت العلمية الممتازة في النجف ، فيما تزعمون ، تحتقرون الناس ، تحتقرون حتى أعاظم الحكماء ، تحسبون انكم من طينة السماء ، بينما الناس عندكم مخلوقون من نحاس أو من حمأ مسنون»[٣٤].

الواقع ان كتاباته كانت محاولة جريئة لاصلاح ما فسد وتقويم ما اعوج كما كانت محاولة رائدة لممارسة القرائح على السباق في ميدين الادب والفنون والسياسة والدين ، فكان في كل ذلك رجل الادب السياسي والفكر المستنير ، ومشعل الاصلاح . ان آراءه الحرة ونظراته الصائبة ما زالت خالدة ، تلالت في خطوط أسلوبه وأدبه صورة اديب وصحافي وسياسي نازع الحياة فنازعته ، نازعها شرورها وباطلها فنازعته هي الاخرى حقه ،واحساسه المرهف بصراعها العنيف . لكنه خرج في كل معاركه منتصرا ، لاعتماده على

---

(٣٣) «رجيب فقيد الادب والعرب» ، ص ٦٦.
(٣٤) مجلة الغري ، العدد (٢٣) ، ص ٥٤ عام ١٩٤٧ .

قريحة خصبة وقلم جريء وقوة ارادة لا تخشى في الحق لومة لائم ولا في الوطن جبروت ظالم ؛ استمع اليه منددا بالمعاهدات غير المتكافئة بين العراق وبريطانيا في مقال له بعنوان « أفي هذا حل لبريطانيا ؟ » جاء فيه: «شعرت وايم الله ؛ بوخزة محرقة ، وجزة نارية قد اصابت كبدي عندما طالعت كتاب فخامة عبدالمحسن السعدون إلى معالي رئيس المجلس النيابي «رشيد عالي» وما اتيت على آخره حتى وجدتني في سعير الحشا مضطرم الفؤاد ، ذلك حينما انتهت بي المطالعة الى جملة السعدون في كتابه ، الذي يحاكي قاطرة جسيمة تنفست بزفيرها المنذر الى أمد الخمسة والعشرين عاما وملأت فضاء العراق دخانا قاتما وقوله : «وفي هذا حل لبريطانيا من تعهداتها نحونا» • هو مجازفة مخيفة بأقدس جزء من وطننا •• لم نشعر ان المعاهدة كانت ملزمة للعراق لصيانة الموصل ما دامت عصبة الامم قد راعت في حكمها بالحاق الموصل الى العراق ••• لكننا شعرنا أن تصديق المعاهدة الجديدة يكون هما وكرها على الحكومة العراقية»[٣٥] أرأيته كيف كان صريحا (ومع من ؟ مع الحكام ومع شعبه وأمته فكان خصما للحكام وخادم شعبه ولصراحته هذه شقي كثيرا وعاش ومات في ظل تلك الرسالة وهو فوق هذا وذاك من الادباء الاحرار وجندي شجاع حارب في مختلف مناحي الحياة بقلمه ولم يخش في ذلك كبيرا ولم يتنازل حتى عن صغيرة • امتحنته الحياة وخبرته التجارب فذاق مرها وحلوها في جميع ادوارها فكان المثل الرائع في جميع مواقفه ، ولم يزده كثرة الآثمين حوله الا ايمانا فوق ايمان ، وصلابة في العقيدة • بكى مع الباكين وأن لانين المظلومين والمضطهدين فشاطرهم عزاء بعزاء وقدم لهم ما يرنون اليه من المطالبة بحقهم المهضوم وتألم لآلام المعوزين والفلاحين وما يكابدونه من جبروت الاقطاعيين ، عرض تلك الصور جميعها بأسلوب رائق ولغة سهلة واضحة مما أثار في

---

(٣٥) جريدة نداء الشعب ، العدد (١٣) ١٩٢٦م .

نفوس قرائه وعشاق أدبه نقمة عارمة على المسؤولين ، مطالبا بإصرار وعناد اجراء انتخابات حرة نزيهة تمثل فيها جميع طبقات الشعب ، تحقيقا للديمقراطية الشعبية ، تمثيلا صادقا ، وقد كتب في هذا تحت عنوان : « أزفت الساعة وحان الوقت» جاء فيه : « اننا اليوم على أهبة استعداد للنزول الى ميدان الانتخابات النيابية ، واننا اليوم نستمر ونحتاط للامر آملين ان تكون هذه الظاهرة الدستورية آخذة موضعها ، وجارية مجراها الطبيعي من كل تدخل ، والبعيدة عن أي مؤثر للنفس غايتها ويغطي عليها أبصالها . ليس في الامة من تهون عليه كرامة وطنه ، وليس هناك من يسره ان تسقط البلاد في تنور من الفوضى في تقرير مصيرها ، وفي رسوخ قدم أحوالها المتذبذبة .. يجب ان يضع ابناء البلاد امام عيونهم عرق الفلاح المسكين ، وكد العامل التعيس ازاء من يولونه شرف التمثيل في المجلس القادم ... ولا محيص للعراقيين من بناء صف رصين ، ولا غنى له من طائفة متنورة تمشي بها الى ميناء تستريح فيه من عناء سفرها البعيد»[٣٦] . لقد تكلم رجب بلغة جادة وعاطفة صادقة ، ورأي سليم . وهذا الايمان القوي والشعور الفياض صورة حية لقلبه النابض بالحياة الذي لم يشغله ، بما أصيب به من نكبات وما نزلت به من نوازل ، عن التفكير في مثله العليا التي اعتنقها فعاش لها وأفنى حياته في سبيلها . تشعر وأنت تقرأ مقالاته كأنه يخاطبك مخاطبة الصديق للصديق ، والاخ لأخيه ، لا تكلف فيها ولا اجهاد ، ولا تصنع . فيها دروس ممتعة في الاخلاق والادب ، ومناهج واضحة في السياسة والاجتماع وآراء بينة في الحياة ، يسبغ عليها طراوة وطرافة بأسلوبه الاخاذ وبيانه المؤثر وتعابيره الرائعة التي تأخذ بمجامع القلوب والافئدة لصراحته المتناهية في زمن كذب فيه الادب والتوى الأديب عن الصدق والصراحة الى المواربة والمحاباة لنيل جاه أو كسب مغنم ،

---

(٣٦) جريدة النهضة العراقية ، العدد (٦٠) في ٢٠ آذار عام ١٩٢٧ .

لكن يوسف عزف عن جادة اولئك الادباء الذين سجدوا للمنصب وخارت عزائمهم لبريق المادة ، واستهوتهم الزلفى للملوك والحكام[٣٧].

لقد جهل كثير من ادبائنا وكتاب صحافتنا الادب الهادف والصحافة الجادة حتى أماتوا الروح الوثابة والكتابة الحقة . استمع اليه يخاطب القوم بمقالة عنوانها : « ضمان نجاح الامة متانة اخلاق ناشئتها » جاء فيها: « ... علينا ان ننصح ونقول المفيد ونحبذ الحسن ، وننفد الضار المسيء ، ونحمل حملة شعواء على كل عابث شرير ، وعلينا أن لا نرخي الستار على زوايا المظالم والانتهاك ، ونحن نتمشدق بأننا مثقفون وعارفون . واذا سكتنا عن المجاهرة بوجوب مناصرة المغصوب والمضطهد وامسكنا عن سرد الحقائق ونشر كل ما يتوخى منه جزيل النفع ونحن مقتدرون ومسيطرون ، وصحافيون ، فلا شك اذن سيكتنف اعترافنا في هذا المقام اذا صرحنا وقلنا اننا خاسرون وخائنون»[٣٨]. لقد عرف رجيب بايثاره المصلحة العامةوالثبات على النهج والمنهج . ولو تصفحنا تأريخ الفترة السياسية الواقعة بين١٩٢٠ الى ١٩٢٥ لوجدنا تبلبل الافكار وتزعزع الضمائر بينما بقي الرجل صامدا لم تثن عزمه الخطوب ولم تلن عريكته لحادثة ، وكتاباته شهود عدل . وبخاصة افتتاحياته في جريدتي النهضة والزمان فهي أصدق برهان علىقوته وصلابته في كتاباته التي امتازت بالنزاهة في الرأي والتمسك في الحق ، والالتزام بالقيم . معبرا عن كل ذلك بأسلوب دقيق وموضوعية وتجرد . حتى لقد عد من المؤرخين المنصفين في كل ما تناوله قلمه من أحداث مبتعداً عن الانفعالات الشخصية ، والتأثيرات العاطفية . وان ما نشره من مقالات

---

(٣٧) قابل : الاعتدال ، العدد التاسع ، عام ١٩٤٧ « يوسف رجيب » بقلم محمد البلاغي .

(٣٨) جريدة النجف ، العدد (٦١).

متنوعة ليؤلف موسوعة ثرة لتأريخ العراق السياسي ، هو أشبه ما يكون عنوان مأساة ورواية مؤلمة لحوادث الوطن • استمع اليه يفضح النواب المؤيدين للاجنبي ويطري نواب المعارضة تحت عنوان «ماذا يريدون من المعارضة ؟» جاء فيه : « يشنعون على المعارضين ولا تعلم ما هي الغاية من ذلك ؟ ولا ندري اية فائدة من الدستور والاحزاب النيابية ؟ اذا لم تكن هناك معارضة ، واذا لم يكن ثمة تطاحن حزبي ، ونواب يحاسبون ويناقشون ، وهل تحفظ كرامة الامة اذا لم تكن في البلاد قوة تقف في وجه الظالم، وتدفع عن البلاد الضيم ، وتمنع تجاوز المعتدين ، وتفريط المفرطين ••• لقد بات من حق المجلس ان يقف تجاه الاحوال الحاضرة وقفة يكشف فيها الغطاء، ويمزق الحجاب والاستار لتتضح الحقائق الناصعة وتتبين الأعمال الزائفة• ففي المجلس والمجالس « محك » يظهر الاخلاص كما يظهر التزلف للاجنبي ويبدي كل شيء للعيان»[٣٩]• تجد الكاتب في هذا المقال متين التعبير قوي الاسلوب ، متخذا من قلمه الجريء ، وأسلوبه الرصين وسيلة من وسائل الجهاد الوطني • وليس هذا بجديد عليه اذ واكب الحركة الوطنية ورافقها في مختلف ادوارها ، وساهم فيها مساهمة فعالة ، ولعل خير خدمة قدمها لوطنه هي اصداره جريدته النجف التي خاصمت السلطات المحتلة واعوانها بأعنف أسلوب وبأجرأ قلم مما احدث هزة في الاوساط السياسية والادبية والصحافية مما دعا الكاتب الصحافي المعروف ابراهيم صالح شكر يحثه على المضي في طريقه ، طريق الجهاد الصحافي الحر النزيه، لقدرته الفائقة على تسجيل الظواهر الشائنة في حياة كثير من الساسة والادباء[٤٠]• وفي جريدته النجف تجلت نزعته الاصلاحية ، وظهرت بوادر آرائه الجريئة وتكشفت روحه عن

---

(٣٩) جريدة النهضة ، العدد (٣٠) عام ١٩٢٧ •
(٤٠) راجع « اعلام من الشرق » ، ص ٧٢ •

مشاعر فائقة تتقد بكل الخواطر الاصلاحية • وعلى الرغم مما له من مقدرة بيانية هذه • فقد اتخذ من كتابة الاقصوصة وسيلة للافصاح عن ارائه ، وما يذيعه في الناس من مبادىء وطنية ، وما يريد تحقيقه من ثورة ، ولو عاش طويلا ووعى فنية القصة لانتج اعمق الاثار الادبية والسياسية واجلها ، لما كان يجيش في اعماقه من حس وطني ، وما يتميز به من احاطة باغوار النفوس • ففي قصة « نجم البقال » صورة بطولية لهذا الرجل الذي قاد قوة التنفيذ التي فتكت «بالكابتن مارشال» وصرعته واعطته درسا في الوطنية والبسالة • وقد كتب رجيب صورة قلمية في مجلة الاعتدال باسلوب اخاذ استحوذ على اعجاب قرائه • وصف رجيب نجم الثائر قائلا:

« ••• والحاج نجم رجل نيف على الستين ، وقد اسرع اليه الهرم، وهو ضعيف الجسم هزيله ، متوسط القامة ، اسمر الوجه ، وخطه الشيب واشتعل له رأسه ••• أنظر الى الحاج نجم الهاديء الوادع كيف ينقلب في ليلة زعيم ثورة ، وقائد انصار ، ليغزو السراي المحصن أحسن تحصين ، والمدجج بأقوى عدة وسلاح•»(٤١) ثم يفصل الكاتب هذه الحادثة تفصيلا دقيقا معبرا عن المعاني الوطنية الصادقة متخذا من نجم هذا مثالا للرجل الوطني الصادق الساعي بكل جهده لتحقيق آمال أمته • فلابد له والحالة هذه من التشبث بكل الحيل للوصول الى مبتغاه فتراه يرتدي هو وبضعة عشر كميا من افراد جمعيته ثيابا رسميـــة حكومية مخترقين السراي بعد أن أعلموا الحراس أنهم جاؤا برسالة مستعجلة من الحاكم السياسي ، ففتحت الباب وانقضوا على الحراس ، ثم اقتحموا غرفة القائد فأردوه قتيلا جزاء ما اقترف بحق وطنهم من آثام•

ان هذا التسلسل في سرد الوقائع يشد الكاتب قارئه الى قصته ويستثير

---

(٤١) راجع مجلة الاعتدال للوقوف على القصة مفصلا•

همته مما يجعله يتتبع كل حركة أو اشارة ، هذا اضافة الى جودة الاسلوب ولطافة المعاني ، وقوة الربط بين الحوادث • ورجيب لا يكتفي بهذه الجادثة، وانما يربط قصة نجم ربطا قويا بثورة النجف ، حيث يهب الناس شاهرين اسلحتهم مزمجرين غاضبين ، مدافعين عن مدينتهم ، ذائدين عن كرامتهم المهدورة وحريتهم المسلوبة من قبل الانجليز المحتلين الغاصبين • والمتمعن في قصص رجيب هذه يجده ينحو في أسلوبه منحى تقريريا محاولا كل جهده ان يسرد الحقائق المختزنة في ذهنه على قارئه ، ويصبها صبا ليحمله على الثورة والانتفاضة • ولك ان تقرأ أقصوصة « ينتقم لشرفه » لنجد الشيخ يهيب بابنته ان توقظ اخاها ليأخذ دوره في الحراسة ، لكنه لم يجد أحدا يلبي نداءه • ومثلها اقصوصته «ذبيحة» ففيها كثير من الوعظ والارشاد ، والتحذير والوعيد من الاستهتار ، والسير وراء الشهوات ويختمها بقوله: « فلا تغرنكم أقوال الشعراء وبيان الأدباء ، فان للحرية حدودا » • ومع هذا وذاك لم يكن لرجيب الصبر الكافي على كتابة الاقصوصة والتزام قواعدها الفنية ، فهو يستهلها كأحسن ما تكون فيوحي الى نفس قارئه بعظم الحادث وهو له فيثيره لكنه سرعان ما يسرد عليه الحوادث بأسلوبه التقريري المعهود فيتلاشى الهدف الفني بين المقالة والاقصوصة[٤٢] • و « حديث قادر » خير مثل على هذا • فقادر يملك مقهى متداعية على ساحل الكحلاء في العمارة ، كل ما في مقهاه من مقاعد وآنات وحصر واواني للشاي والقهوة كأنه ما جئ من زاد تقادم عليه العهد، أما مقهاه فحسبها مغارة في كهف (وان كانت منتبذة على متن النهر وذلك لاسوداد جدرانها من دخان الايام ولانها لم تعهدها يد الاصلاح •

---

(٤٢) قابل «عبدالقادر حسن امين» القصص في الادب العراقي الحديث ص/١٠٢ •

وامّا ما يكسبه قادر من لبح فهو دون ما يسد به الرمق[٤٣] .

تابع الاقصوصة تجد «رجيب» يخرج عليك بامور كثيرة وباسلوبه القريري. ويزحم فكرك بالحوادث الكثيرة . اما قصته المعنونة ب «مجرم» فهي مثل حي على شخصية رجيب الثائر على الفساد ، المجبول على نكران الذات ، المحارب للباطل ، المتمسك بالفضيلة وحب الخير ، يظهر ذلك في الفاظه وأساليبه ومعانيه . يحمل اللفظة معناها الدال عليها فيوحي لك بالالم ، وتكشف طبيعة الاجرام بأبشع مظاهرها وأعنف صورها القبيحة . استمع اليه يحدثك عن ذلك المجرم قائلا : « كان هذا المجرم وحشا ولا كالوحوش، كان سفاكا شريرا لا يستطيب كأس الحياة ما لم تكن له الكأس المشوبة بدم انسان بريء ، هكذا عكف على هذه الموبقات يلتهمها التهام الشره النهم زمنا طويلا . كان يقترف اروع الاغتيال ويرتكب اشنع الاعمال تحت ستار من المكر والخداع حتى راع الناس ما راعهم من هذا الغول السفاك وهو في كل برهة من الزمن يرمي بفريسة من الاولاد وهي أشلاء مقطعة افظع تقطيع. تبا له من مجرم وحش مفترس ، كأن ذلك الكلب العقور يغوي الاطفال السذج المساكين حتى اذا اطمأنوا الى اغوائه وحلاوة لسانه ، خطف من بينهم صيدا باردا يتوارى به في مخادع الخرائب ، والاماكن الخفية النائية من عين الرقيب ، واذا خلا له المكان طابت له الدنيا وحلا له الولوغ من الدماء ، عند ذلك يتقمص جلد النمر وينقض صقرا على عصفور ، ينقض على فريسته الغافلة على حين غرة منها فيعاجلها بطعنة او طعنتين يتركها اثرا بعد عين ومن ثم يبدأ من جديد يفتش عن ضحية أخرى وهكذا .... »[٤٤]

---

(٤٣) راجع الاقصوصة كاملة في مجلة الاعتدال ، العدد العاشر، عام ١٩٣٤ .

(٤٤) مجلة الاعتدال العدد السابع ص ٢٩٧ عام ١٩٣٤ .

لا ريب في ان هذه القصة ومثيلاتها عمل أدبي مزيج من العواطف الانسانية، والخبرات الاجتماعية • ومن غير شك كذلك في ان «رجيب» اديب له اليد الطولى في بعث نهضتنا الادبية ، واستحداث الطريقة الفريدة المبتكرة في عرض الصور بأسلوب سلس يأخذ بمجامع الافئدة ويصورها مجسمة متتابعة متلاحقة يرتبط بعضها برقاب بعض في فكرة مركزة ، وتحليل منطقي • لم يترك رجيب صغيرة ولا كبيرة في الحياة الا واشبعها درسا وتحليلا • لهذا وجد قراء أدبه ضالتهم ، ومتعتهم يتابعون مقالاته كما يتابع سامع القصيدة الجيدة بيتا بيتا • ولعلك تعجب بأسلوبه اعجابا منقطع النظير عندما يريد توضيح أمر هام فتراه يقابل ، ويطابق ، ويكثر من الضد ونقيضه ، ليبين ويقذف بالحمم ويرمي بالشرار دون خوف أو وجل ، صادقا بينه وبين نفسه ومع قومه ، عزوفا عن المصالح الذاتية ، والبهارج الادبية المصطنعة ، صريحا في سره وعلانيته ، عفيفا بأغراضه وأهدافه في حالتي أمنه وخوفه ، يبكي قلبه لآلام الناس ومشكلاتهم قبل ان تبكي عيناه ، بأسلوب أقل ما يقال فيه الاسلوب السهل الممتع ، الذي أعطانا صورة حية لكاتب تخطى الحدود وفك القيود وتجاوز المعوقات الى آفاق بعيدة ، لها مراميها وتطلعاتها السياسية والادبية ، فهو بهذا أديب له مدرسته ، واسلوبه ومعانيه ، حتى امتزجت نفسه بانتاجه وأدبه امتزاجا لاتصال رجيب بوجود الحياة المختلفة » ولعلاقة كل خلجة من خلجانه مع خلجاتهم ـ الناس ـ تحس نفسيته بخواطره وأفكاره وعواطفه وتشعر بحقيقته الذاتية واضحة يبرز هذه الامور بفكر قوي وجزالة في الاسلوب»[٤٥] اقرأ مقالته المعنونة بـ «الشيب والخضاب» تجد «رجيب» صورة حية أمام ناظريك يرسم لك الصورة الحية المعبرة عن تجاربه الشعورية

---

(٤٥) «يوسف رجيب فقيد الادب والعرب» ، ص ٢١ •

بصورة موحية مستقصيا كل ما قيل في الشيب من شعر وحكم وامثال استقصاء لطيفا ، ليدلل لك على ان الحياة قصيرة بدايتها معروفة هي الولادة ونهايتها محتمة هي الموت ، والسعيد من عمل صالحا لنفسه وللامة ، ومن عمل بضد ذلك فعليه آثم ما عمل ، قبل أن يشيخ ويهرم فيندم على ما فرط في حقوق الشعب والوطن . قال:

« ان الشعراء وأهل الفضل والعلم اكثروا القول في الشيب ، ولهم بذلك نوادر وطرف ممتعة ، ولهم كذلك شكوى وعتاب في هذا الذي ابيض بعد سواد ... وفي الاحاديث الشريفة نصوص على احترام الشيب والاحتفال بمكانته . فقد قال النبي الاعظم ـ ص ـ : « إن من تعظيم جلال الله اكرام ذي الشيبة في الاسلام ، واكرام الامام العادل حامل القرآن» . وانه لتكريم عظيم يأتي في رأس الآداب الاجتماعية ، وحسب الشيب فخرا بذلك . قيل للنبي الكريم ـ ص ـ : « عجل عليك الشيب يا رسول الله » . فقال : « شيبتني هود وأخواتها » . وتأمل حكيم شيبة في وجهه فقال : « مرحبا بزهرة الحنكة ويمن الهدى ومقدمة العفة ولباس التقوى » . وقالوا لعبدالملك بن مروان: « عجل عليك الشيب » . فقال : « شيبني رقي المنابر وتوقع اللحن » . ورؤي شيخ قد حناه الكبر في مسجد فقيل له : « اتحب الموت ؟» . فقال لا فقد ذهب الشباب وشره وأتى الكبر وخيره فإذا قمت حمدت الله ، واذا قعدت ذكرته . فأنا أحب ان تدوم لي هاتان الخلتان» (٤٦) .

لقد تتلمذ رجيب على الشاعر المتنبي فأثر في أسلوبه والفاظه ومعانيه ، وان اختلفا من الناحية الادبية والامزجة الشخصية . فالمتنبي شاعر ورجيب ناثر تستهويه الحكمة ويأسره الشعر لهذا تجده في أسلوبه يقرب من اسلوب

---

(٤٦) المصدر السابق .

استاذه ، وكان شغوفا بشعره ومعانيه وأخيلته حتى صار مثلا تاما للمتنبي . اذ وجدت في نفسه أمور اقتضت ان تنطبع في ذهنه كل فكرة من فكر المتنبي وأن ينصب في قالبه وينصهر في بوتقته فخرج مثلا صادقا من الامثلة التي تركها ابو الطيب في المجتمع العربي متمثلة في رجيب حيث كانت تظهر معاني الشاعر العربي القديم وأفكاره والفاظه في أبسط كتابات هذا التلميذ .

لقد برز رجيب وفي جوانحه شواظ اللهب الذي كان يحرق اعلاق أبي الطيب وفي روحه الشعلة التي كان يهتدي على ضوئها كاتبنا في جهاده المضني الشاق . وفي هذا يقول صاحب كتاب « رجيب نقيد الادب والعرب » . « لقد استعان اديبنا الثائر بأقوال المتنبي في جميع كتاباته وتشبعت مشاعره بتعاليمه ودروسه حتى كاد يصبح صورة منه »(٤٧)، ولعل الصورة تتضح أكثر لو قرأنا مقاله الموسوم بـ «ذكرى المتنبي» جاء فيه: «أتريد إن اتحدث إليك عن المتنبي ... شاعر الدنيا وخطيب الدهر؟ أم أن أبا الطيب حي خالد على مر الاحقاب ، لان شعره وأمثاله ، وحكمه سائرة على كل لسان ناطق بالضاد ؟ . لا جرم ان المتنبي يمثل قمة الخلود بين الادب العربي والشعر العربي الجزل ، فهو شاعر القوة الفحل ، شاعر الطموح والرجولة الكاملة الفذة ، ومن أولى بالاحتفال وتكريم الذكرى من هذه الشعلة العبقرية الوقادة؟ من هذا الخطيب الذي يقذف في نفسه الملتهب جمرا لم يخب لها أوارها . الست تستمع اليه وهو يلقي عليك من المنبر الحربي هذا الدرس العسكري:

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعدا   فقم واطلب الشيء الذي يبتر العمرا
هما خلتان ثروة أو منية   لعلك ان تبقى بواحدة ذكرا

حسبك من شاعر الدنيا هذا النشيد العسكري أو حسبك أن تلمس

---

(٤٧) ص ٣٨ ، معن العجلي .

عظم تلك النفس وسمو تلك الشيم في قوله:

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء انمله العشر

ألا قدس الله روح الشريف الرضي فقد كان يسمي أبا تمام خطيب منبر ، والبحتري واصف جؤذر ، والمتنبي قائد عسكر (وأي قائد عسكر هذا الطامح النفس ، البعيد الهمة ، المستهين بالمنايا ، الساخر من الموت ، لا يعبأ بالحياة ، ولا يلذ للناس من خفض العيش ، ودعة الايام ونعم المكان ، وانما يستطيب المهالك ويسعى الى معانقة القنا فوق ظهور السلاهي حيث يلاعب السيوف الصقيلة ليغمدها في رقاب اهل الجور ، أهل الظلم الذين علت بهم الايام الحمقاء ... فالمتنبي وان شئت ـ القائد العسكري ـ يريد مصارعة الملوك لا السواد ، ويطلب معالي الامور لا الزائف منها ، يريد ان يكون الحسام في يمناه والصولجان في يسراه.

تخوفني دون الذي أمرت به ولم تدر أن العار شر العواقب
ولابد من يوم اغر محجل يطول استماعي بعده للنوادب
يهون على مثلي اذا رام حاجة وقوع العوالي دونها والقواضب

الا ترى ، وأنت تستمع الى هذا الدوي ، وهذا الرنين من هذا الشعر الضخم كأنك في حومة وغي ، يقرع سمعك قائد عسكري في هذه المرعبات، يحبب اليك الموت ويرخص لك الحياة...»(٤٨).

لقد قدم رجيب للقراء خلاصة ما قرأ ، وما انتج لما فيها من امتاع ومؤانسة وفائدة قصوى ، وهي خير رسالة لاديب يبحث وينقب في بطون

---

(٤٨) مجلة الاعتدال ، العدد التاسع عشر ، عام ١٩٣٤ .

الكتب ليتحف قراءه بخلاصة ما قرأ ليجمع شتات ما ذكر في تلك الاسفار بصوغها بأسلوب متين ومعاني رائعة كانت دليل عبقريته وعنوان قدرته • وقد شهد له بذلك كثير من كتاب العرب وأدبائهم المعروفين • منهم الكاتب المعروف أحمد مغنية • كتب مقالا بعنوان « أدب يوسف رجيب » جاء فيه :

«•••• ان يوسف اديب بارع بدليل تلك الالفاظ والجمل ••• ان الذي أعني به هو وجه الشبه بين حياة الاديب النظرية والعملية من جهة ، وأعني بالعقيدة الادبية التي يمتاز بها الاديب من جهة ثانية ، العقيدة التي تثبت للدهر في أدق أدواره وعند اشتداد الازمات ويوسف من اولئك الادباء أصحاب العقيدة الذين ثبتوا أمام تيار الاحداث ، ووقفوا في وجه الصدمات ،وأثبتوا أن روح الاديب الحي هي بنت الفضيلة أو هي الفضيلة نفسها • أن يوسف اول أديب عراقي طلع على النهضة الحديثة بقلم مزيج من الادب والسياسة فأثبت ان السياسة والادب ان مشيا جنبا الى جنب كانت لهما الروعة التي تملك القلوب ، والاسلوب الذي يتذوقه المجتمع في جميع طبقاته ، كان يوسف في أول عهده كاتبا أديبا سياسيا ثائرا ••• فشحذ لسان قلمه ثم أصلته في هذه السبيل ، وارهف سنان عزمه ثم اطلقه أسنة تفل العزائم ، شحذ وأرهف ورمى وأصاب حتى كل سنانه وهزل عزمه وما كل وهزل الا حين اصطدم بصخرة الباطل وتكاثرت على سنانه الاسنة • أديب لم يزده خذلان الناس حوله الا ايمانا فوق ايمان والا يقينا انكشفت امامه الشبهات والظنون»[٤٩] المهم في الامر أن يوسف رجيب كان مجددا في اسلوبه • لقد دعا الى التحرر من الاساليب القديمة البالية والانعتاق من الآراء البالية التي تجر على الوطن الويل وتنخر جسمه ، وطالب من الادباء كافة ان يخوضوا في كل ناحية من نواحي الحياة بلا

---

(٤٩) جريدة الرأي العام ، العدد (٤٧) ، عام ١٩٤٧ •

حدود ولا قيود ، ونبذ كل فكرة تنادي بوجوب فصل السياسة والدين عن الادب وقد كانت لصيحته هذه في الاوساط الادبية أثرها الواضح في المجلات والصحف وفي مقدمتها « مجلة الحاصد » • اذ كتبت في عددها الاول مقالا معبرة عن الفكرة ذاتها جاء فيه : (يقولون ان هذا المجتمع بني على عمد••• هي البيت والفرد والحكومة والمصلي ، فكيف يخدم الادب المجتمع اذا لم ينر الطريق امام هذا البيت ، والفرد ، والحكومة ، والمصلي؟ وهل كان الاديب يردد الفاظا بلا غاية او قصد ؟ هو مكلف بأن يقود الحياة ، ولكن كيف يتسنى له ذلك اذا قيل له : هذا جائز وذلك غير جائز ؟ • مشت السياسة ومشى الدين مع الادب جنبا الى جنب في كل عصر وزمان ، أو قل ان الادب كان لسان السياسة والدين في كل عصر ومكان ، الادب قائد السياسة في كل جيل ، اذ لا نعرف ماذا تقصد الحكومة من الاديب حين تقول له: «تكلم في كل شيء ولكن اياك والسياسة والدين • وهل كان الدين والسياسة امرين تافهين حتى تتجنبهما ••ان كل حركة وتطور أثر من آثار الكتاب والادباء ، وهؤلاء لا يستطيعون ان يعدوا للحركة والوثوب اذا قيل لهم:

«لا تدخلوا في السياسة والدين »[(٥٠)]• تلك هي صرخة رجيب ومن آزره والتي هزت الوسط الادبي والصحافي لاعتقاده ان مجالات الحياة كافة مسرح للأدب ، ومنطلق لتغيراته لكن تلك الحدود الفاصلة والتفرقة غير الواردة بين الأدب والسياسة التي فرضت على الادبـاء العراقيين في العهود المظلمة ولاسيما في الحكم الملكي كانت سيفا مصلتا على رقاب الصحافيين والادباء • فكنت ترى ذلك السيف الرهيب يتخذ وسيلة لزج زيد من الكتاب او عمرو من الناشر ، ومع هذا وذاك فقد سار رجيب على هـذا النهج والمنهج غير هياب متخذا الادب وسيلة من وسائل النهوض بالامة من كبوتها

---

(٥٠) العدد الاول عام ١٩٣٩ ••

وايقاظها من رقادها ، ومزج في كتاباته بين الادب والسياسة بأسلوب أدبي سياسي قائم على الصراحة ، بأسلوب أخاذ يدل على قلم وفي ونفس ثائرة . ومما لا نكران فيه ان كتاباته كانت مصدرا لمن خلفه من الكتاب ، ومنبعاً استقت منه شرابا سائغا[٥١] . ومن غير شك كذلك ان رجيب عرى هوية المتربعين على دست الحكم وكشف الاعيب السياسة وبهارج السياسيين وبخاصة في جريدة النهضة حيث فتحت صدرها لرجيب فأعطى الحقائق الناصعة التي تدين الساسة والانتهازيين بقلمه الشجاع ليقارع الباطل ويخز المستعمرين وعملاءهم خز الابر ولسع العقارب ، اودع فيها عقله وفكره وعواطفه لهز الحكام وايقاظ الشعب من غفلته لما كان يحدث تحت الخفاء من معاهدات جائرة تكبل الشعب بأصفاد الذل والهوان . استمع اليه منددا بالسياسيين المتخذين من التفرقة العنصرية والطائفية وسيلة للوصول الى غاياتهم وطريقا لاضعاف الشعب والسيطرة عليه . قال بعنوان:

« اقرأوا وأحكموا » جاء فيه:

« هؤلاء نحن لسنا متكتمين ، ولسنا جبناء ، ولسنا طائفيين ، وانما نحن فرقة نيابية لا تعرف غير الامة ، ولا تطلب اكثر من الاصلاح، وانما نحن نواب لا نطلب الا ما يحقق سطوة البلاد ، ونفوذ الحكم الاهلي في البلاد، ولانريد الا تجريد الشعب من الفروق وتنزيهه من الشوائب ، وتخليصه من القيود وفكه من العبودية والاسترقاق ... اذن ممن يطلبون التصريح ؟ وممن يريدون الظهور أمن الذين اسسوا هذا البناء ؟ وخلقوا هذه الحكومة، وثبتوا دعائم الاستقلال ؟ ... واذن ممن يريدون التصريح ؟ أمن الذين

---

(٥١) من أراد الوقوف على مقالاته فليراجع الصحف التالية : النهضة ، النجف ، الزمان ، نداء الشعب ، الرأي العام ، مجلتي :الاعتدال والغري.

مردوا المعاهدات ورفضوا صكوك الانتدابات ؟... أيدناهم فكنا وطنيين ، وآزرناهم فكنا مخلصين ، وعاضدناهم فكنا صادقين ، ولما قضوا أوطارهم على الاوطن ظهروا للناس بشكل جديد»[52].

أظن القاريء يعجب بهذا لما يجده من مقالة تزخر بألوان من النقد السياسي اللاذع ، فهو أشبه بسوط موجع على نفوس اولئك الساسة الذين تصدروا قيادة الشعب في غفلة من الزمن ، والقاريء يشعر انه يقرأ قصيدة منثورة في باب الوطنيات لما تشيع في صورته القلمية واشاراته الصحافية من ابراز لاعماق الاحداث ، والصور الهزيلة للحكام حيث زخرت بالطريف ، الظريف المضحك ، وبالمفارقات التي عكست تأريخ الساسة الذين صورهم. قال مؤنباً تلك الفئة الباغية التي وضعت الاغلال في عنق الامة ، والتي سرقت أموال الشعب لتشبع أطماعها ، ولم تحفل بغضب الشعب مادام المحتل راضيا عنهم ، والاسرة المالكة معجبة بهم . جاء في مقال له بعنوان : «يسرقون»:

« ولو انهم الحكام – وقفوا بتضحياتهم السياسية عند حد معلوم لا يتجاوزونه ولو اكتفوا بما وضعوه في عنق الامة من اغلال واصفاد ، ولو انهم اقتنعوا بما حملوا البلاد من خسائر وأضرار لأمنا شر المستقبل ورحنا نرجو بعض الخير، ونأمل تحطيم بعض هاتيك القيود ... ولكنهم لم تشبع أطماعهم ما نالوه من مناصب عالية وكراسي ضخمة ومراكز لم يحلموا بها من قبل، ولكنهم شرهون وقد حسبوها فرصة يريدون الا تمر قبل ان يملأوا أوطابهم من خزينة الدولة ... واذا رضي عنهم الاعوان والسماسرة فلا بأس عليهم اذا سخط الشعب، واذا غضب لان سخطه لا يؤثر على مراكزهم، ولا يزلزل كراسيهم ما دام السماسرة راضين مبتهجين.»[53] لقد عبرت هذه

---

(٥٢) جريدة النهضة ، العدد الثامن عام ١٩٢٧ .
(٥٣) المصدر السابق العدد (١١) عام ١٩٢٧ .

المقالة عن أفكار رائعة ، ومما زاد في روعتها انها اقوال نبعت من فكر ثاقب يطلب اقران القول بالعمل والتفاني في خدمة الوطن ، وهذا الرأي هو سر الجمال في مقالته ، وهو ينبوع لطيب نفسه ، والاروع من كل هذا انه خلق بمقالاته ثورة فكرية أسهمت في خلق جيل جديد نهج نهجه واقتدى بثورته • وليس من شك في ان كلماته كانت نبراسا يستضيء بها العالم والاديب والصحافي والسياسي ، لفكرته الهادفة ، وكان في أسلوبه القوة الدافعة للاحرار والنبراس للشباب في علو همته ووطنيته الصادقة ، ونفسه الثائرة، يعجبك منه اسلوبه اذا كتب ونبرات صوته اذا خطب ، لجمال الفاظه وقوة حجته وصواب رأيه • وهكذا نقف وجها لوجه امام رجل وكاتب صحافي رزق هدوءاً في الطبع ، وعمقا في أغوار النفس ، وصبرا على حمل القلم ، حقا لقد كان من أمته ذلك القلب النابض حمل نفسه في سبيل وطنه مما حملها ذلك الشاب • عاش حياة قصيرة ولكنها واسعة في الجهاد والكفاح •

لقد حظي الرجل بعد مماته ، لا في حياته ، تقدير اعلام الادب ورجال السياسة لكنه تقدير بعد أوانه واحسان بعد غيابه •

رحم الله « رجيب » فقد عاش لامته ووهب حياته لشعبه ، ومات من اجل رسالته •••

نماذج من مقالاته

« وما اجتمع الداءان الا ليقتلا »

يحدثنا يوسف رجيب بهذا المقال عن شغفه بالسفر والتجوال لينتفع بهذا السفر وذلك التجوال وليفيد مجتمعه ويفيد نفسه ، ولاقتباس ما يصلح المجتمع العراقي ويأخذ بأسباب نهوضه ورقيه • هذا ما كان يرنو اليه ويطمع فيه • غير ان قلة ذات يده قضت عليه الا يسافر ولا يتجول حيث يقول :

« أنا أيها الاستاذالدكتور « زكي مبارك » مغرم بالسفر الطويل ويحرمني من ذلك « خفة الجيب من المال » وعندنا ـ ويجوز ان الامر كذلك عندكم ـ ان السعيد من الناس من كان جيبه (ثقيلا) ، والشقي هو الذي خفت جيوبه لا (موازينه) ••• واني لشقي الجيب ••• وأسأل الله الا أكون شقي الميزان ••• والا كنت المعني بقول من يقول :

« وما اجتمع الداءان الا ليقتلا»(٥٤)

« يلعبون »

« ••• هم يلعبون بالنار • والنار اذا تأجج اوارها • واضطرم سعيرها تحرق اليابس والاخضر • ولا تبقي باقية ولا تذر • يلعبون ، لأن كراسيهم المضطربة لا تقوى على الوقوف ادام العاصفة اذا هبت ••• يلعبون ليشغلوا هذا وذاك عن التفكير في النصر وعن المطالبة بالوعود وعن مناقشة الحساب يوم تزف الساعة ••• لبسوا لكل يوم لبوسه • وحسبوا لكل امير حسابه وباتوا كالحرباء في كل يوم رداء ولكنهم برروا عملهم لزعمهم انهم ساسة وان الكذب والخداع مما تقتضيه السياسة•••»(٥٥).

---

(٥٤) جريدة النهضة العدد (٥) ، سنة ١٩٢٧ •
(٥٥) نفس المصدر العدد (٩) •

« يغالطون »

« تطلع صحفهم في كل صباح مملوءة بالاراجيف • وكنا نود ان تطلع حافرة بما يهم البلاد وينفع الامة ••• لقد حسبنا بيان وزارة المستعمرات ضربة قاضية على أمل الشعب وقابلناه بمنتهى الحزن والغم واذا عدته هذه الصحف فذلكة سياسية لجس نبض الأمة في موقفها السياسي الحاضر واختبار رأيها في المفاوضات المقبلة فقد رأينا هذه الفذلكه فاجعة عظيمة فأي قلب لا يتألم وأي فؤاد لا يذوب[56] •

« يفتضحون »

اغتنموا سذاجة الشعب وحسن نيته • وأمنوا نقمته وغضبه ، وراحوا يمارون ويلعبون • وانطلقوا في جو هادىء يمثلون ادوارهم • ويتقنون ألاعيبهم • فهم في سبيلهم سائرون ، وعما يرضي الشعب او يغضبه لاهون•

ألهتهم الكراسي والمناصب ، وانستهم زينتها واجبهم ، فأمسوا لا يهمهم غير حفظها ••• صموا الاذان فلم يسمعوا أنين الفلاح • واغمضوا الجفون فلم يشاهدوا جروح العامل النكد الحظ ، وأقفلوا القلوب والافئدة بمفاتيح الانانية الواسعة ، فلم يتركوا للعطف والحنو الى قلبهم سبيلا[57] •

« مجلس الامة ومتى تلتقي الوجوه »؟

« ••• سيعود النواب من مناطقهم مزودين بمطالب امتهم وحاجات بلادهم • واقفين على الرغائب الحقة والاماني الصحيحة ، وسوف يفيض كل نائب بما يحمله في نفسه من آلام الشعب ومصائبه • وما يشكو منه •

وكأننا بالمجلس في اجتماعه الثالث قد وثب في وجه الغاشمين يرد

---

(٥٦) نفس المصدر العدد (٦) •

(٥٧) جريدة النهضة العدد (٤) عام ١٩٢٧ •

مكائدهم ويفند مزاعمهم ، ويفضح أعمالهم ، وكأننا به قد وقف ينازعهم بالحجج وبالبراهين ، وكأننا بالخصوم ينهزمون فمتى يكون ذلك • ومتى تلتقي الوجوه؟»(٥٨).

« صورة »

يبين الكاتب في هــذا المقال أخلاق الناس وطباعهم وبخاصة نفوس الحاكمين ، حتى ان المصور عنــدما أراد تصوير « رجيب » وجد شعره اشعث ، ولحيته كثة ، وعينيه غائرتين •

لقد جاء رجيب الى «دار المصور» على حال اعتيادي ، أي على غير أهبة وغير صناعة وبلا تجميل غير انــه رأى شعرا اشعث يحتــاج الى ترجيــل وتصفيف ، وان له وجها أكلح بادي الشحوب ، غائر النضارة ، ثم هناك لحية لها عمر أسبوع من الزمن ، مبعثرة في هذا المحيا تكتنف العارضين، « كما لاح له ـ لهذا المصور المتطفل على موائد الوجوه ـ ان أثوابي كهيا كل متحلة التنسيق ، بعيدة عهد بالجدة والرونق والبهاء فقال له المصور: «انت بحاجة الى تغيير وجهك وثيابك » مما ادهش « رجيب » فأجابه : كيف لي بتغيير وجهي ، وبزتي وان الله هكذا خلقني »•

ما ألطفها من محاورة بين رجيب وحلاقه! فهي تدل على نقد لاذع للوجوه التي تتلون تلون الحرباء لتحصل على مكسب ، وتفــوز بمغنم ، وفي هذا يقول رجيب متمما مقاله :

« فكثير من الوجوه وكثير من هذه الصور فيها زيف وفيها انحراف عن الواقع كما رأيت! وقد لحق صورتي زيف او بعضه! فهي طبق الاصل والواقع وهي غريبة الملامح والاسارير ومن هنا يلوح عليها بريق من جمال

---

(٥٨) نفس المصدر العدد (٩)•

ورشاقة في هندام ، وطلعة ذات كيان غير انها لا تخلو من كذب في الواقع! فلقد صقلتها الزجاجة وجلتها يد الفن ، وأبرزها الصانع الحاذق ، واذا بها لم تخل من جمال وبهاء...» .

« نار العقار »

« افتن الشعراء الملهمون في الخمر منذ القديم افتتان قرائحهم في مباهج الحياة وفي الجمال السابي المنتشر في الرياض والنسيم والخدود الملاح . والخمرة هذه كثيرة الصفات والنعوت في الشعر العربي وكان التغني بها وبأوصافها دأب هؤلاء الادباء قديما وحديثا ، ... واذن فان هذه الجولة تهدف الى لون خاص مما قاله هؤلاء الخمريون وذلك اللون هو وصفهم هذه القرقف الصرفة اذا شعشعت بالماء حيث يتولد من هذا « الامتزاج » لهب وهاج يتسع ويعلو في الفضاء حتى يضيء السبيل للمدلجين ! ومن هنا كانت لهؤلاء العباقرة في الخمرة المشعشعة وثبات فكرية أخاذة يستسيغها الخيال ويهفو اليها المدمنون الذين لايرون في هذه الحياة لذة مشتهاة الا في ابنة العنب ورحيقها المعسول المعتق ! وهذه الصبهاء التي هي في زعمهم تسكب النعيم النضر على كل عيش في الدنيا قد نحتوا لها أسماء وأوصافا جمة حتى وجد لها مجد مؤثل بين عروش الادب العربي فهي تعلو سنامه منذ أجيال وأجيال ولذلك كان لهذه الخمرة وكأسها ونقلها من هؤلاء الشعراء مكان مكين وقد حلت من نفوسهم محل سمر القنا من سائر القضب ! ولعلك لم تظفر بشاعر تهاون بهذه القدسية الخمرية فأهمل ذكرها او قبح الشرب الدائر حولها ، وحتى اولئك الذين يعتقدون بأثمها وفسادها فهم متغنون بها حتما ولهم من التوريات الشعرية والتعريض بالكلام ما يشفع لهم بمايفرغون عليها من حلل زاهية براقة لانها الحياة أو انها روح الوجود ، ثم...هو

الشعر العربي الجياش المحلق بأجنحة القرائح الموارة ، وانه هو الذي نعتوه فقالوا «اكذبه اعذبه » ...

وها هنا تتجلى هذه الوثبات الخيالية الرائعة ، وما دام اكذب الشعر اعذب الشعر فليحفل ديوان العرب بهذه الروائع التي اصبحت كعقد اللآلىء على جيد الكاعب الحسناء...[٥٩].

« نقل الاديب »

تجد رجيب في هذا المقال حلو العبارة فكه الاسلوب ، خفيف الروح ، تقريظه جميل ونقده فيه دعابة . اما جمله فتستهوي القارىء ، وتطرب السامع في رائع أمثلتها وحسن وقعها فالمقال بمجموعه نقد لاحوالنا الاجتماعية ، ومقارنتها بأحوال الغرب وبخاصة أوضاع المجتمع الفرنسي الذي اعجب به الكاتب ، قراءة لا مشاهدة ، وأخيرا فالمقال مداعبة خفيفة مع الدكتور زكي مبارك ، مقرظا كتابه «ذكريات باريس» معجبا به الى ابعد حدود الاعجاب ، ناقدا كأشد ما يكون النقاد البارعون مبينا سرقاته الادبية حيث يخاطبه قائلا :

« أنت يا سيدي سارق ... وقد وقفت أنا على هذه السرقة بعد حين من قراءتي الذكريات ، والسرقة هنا «ادبية طبعا» اي انها ليست بمادية ، ولذلك حيل بينك وبين الشرطي والمحكمة فالقانون !».

وهي وان كانت مداعبة ، الا انها نقد لاذع لكثير من الكتاب والمؤلفين الذين يبيحون لانفسهم السطو على مؤلفات غيرهم:

يقول «رجيب» في مقاله مستطردا : « سيدي الدكتور : اسعفني الحظ فقرأت كتابك ـ ذكريات باريس ـ وقد شاقني ما قرأت ولذ لي ما

---

(٥٩) مجلة الاعتدال العدد الثالث عام ١٩٤٦ .

شاهدت من وصفك عروس الغرب ـ باريس ـ حقا أيها الإستاذ الدكتور ، اني الفيته طرفة أدبية مرحة ، وما أنا ممن ينكرون لذي الفضل فضله ... وما كنت بالعجلان يوم استقصيته . انك بذلت فيه جهدا وعناية ، ووجدت أنا من كل ذلك ضالة كنت احن اليها من ذي **قبل**».

بعد هذا الاطراء والثناء ينتقل الكاتب الى المقارنة بين المجتمع الباريسي والمجتمع العراقي متمنيا أن يحذو العرب بعاداتهم وسلوكهم حذو الفرنسيين حيث يقول : « حقا قد حننت وحننت الى خبرة القوم واقتباس ما عندهم . عسى ان يكون ما عندهم جديرا ان يقتبس ويؤخذ ليطهر ويقدم لبلادنا فما اشرب الصهباء الا تعللا[٦٠].

« أحمد الصافي النجفي الشاعر »

« اذا كان المثل القائل ان الكتاب يعرف من عنوانه صادقا فهو يصدق ويصدق على هذا الشاعر الملهم والفيلسوف الحكيم ، فأنت اذا استمعت اليه في المقهى أو في الطريق ، أو نعمت معه ساعات روحية ، كما نعمت معه ونحن ـ أنا وهو ـ نفترش رمال « قاسيون » هذا الطود العتيد العتيد وتتخذ من نضد هذا الرخام مجالس نقية صافية كصفاء الصافي وقلبه وشعره ... وكم نعمت ومازلت ـ أنعم ـ بهذا الفيض الساحر من شعر الصافي ، واريحية الصافي، وعزوف الصافي عن هذه الدنيا التي طفحت كأس شرورها بالآثام والاجرام ... نحن بالامس ونحن اليوم وبعد اليوم ، لا يطيب لنا من مقاعد الدنيا ذهبا كانت اذ هي نسيج من اللؤلؤ والمرجان ! وانما نحن تستنشق عبير الله من سماء الله وجها لوجه .. ثم هي ومضات الصافي وهمهمة الشاعر يصيح الى معارج وحيه ، ويتدفق ينثر اليك الكلم الفصل والحكمة

---

(٦٠) مجلة الاعتدال العدد الثامن عام ١٩٣٦ .

الخالدة في البيت المفرد والبيتين المزدوجين ، والقطعة المحدودة ، فأنت تصغي اليه مؤمنا بما يقول لانه يعرض عليك في أبياته الغر صورامن المجتمع الانساني صورا مجردة عارية ... من غشاء ما عليها ... من غشاء اللص الذي يلبس لباس المتقين ، والمتكالب الذي يفرغ عليه جلابيب الرهبان وعناوين الصدق وهو كاذب في ضميره ، غاش في سيرته ، وحذار أن تستمع بقلبك الى الصافي اذا لم يكن قلبك هذا الذي بين جنبيك صافيا صادقا ...»[٦١].

« ذكرى المتنبي »

« أتريد ان اتحدث اليك عن المتنبي احمد بن الحسين ، شاعر الدنيا وخطيب الدهر ، أم ان أبا الطيب حي خالد على مر الاحقاب لان شعره ، وأمثاله ، وحكمه سائرة على كل لسان ناطق بالضاد . من المنبر الحربي هذا الدرس العسكري البطاش:

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعدا فقم وأطلب الشيء الذي يبتر العمرا
هما خلتان ثروة أو منية لعلك ان تبقي بواحدة ذكرا

حسبك من شاعر الدنيا هذا النشيد العسكري ! وحسبك ان تلمس عظم تلك النفس وسمو تلك الشيم في قوله:

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء انمله العشر !!

الا قدس الله روح الشريف الرضي فقد كان يسمي أبا تمام خطيب

(٦١) مجلة الاعتدال العدد الثاني ـ السنة السادسة عام ١٩٤٦ .

منبر، والبحتري واصف جؤذر . والمتنبي قائد عسكر !.. فالمتنبي وان شئت - فالقائد العسكري -يريد مصارعة الملوك لا السواد ويطلب معالجة الامور لا الزائف منها يريد أن يكون الحسام في يمناه والصولجان في يسراه!.

تخوفني دون الذي أمرت به ولم تدر أن العار شر العواقب
ولابد من يوم اغر محجل يطول استماعي بعده للنوادب !
يهون على مثلي اذا رام حاجة وقوع العوالي دونها والقواضب

ألا ترى وانت تستمع الى هذا الدوي وهذا الطنين من هذاالشعر الفخم كأنك في حومة وغى يقرع سمعك قائد عسكري في هذه المرغبات يحبب بها اليك الموت ويرخص لديك الحياة اذا لم تكن حياة عز ورفعة ومجد وسؤدد وذاك لان العار شرّ العواقب ! ولان اليوم الاغر هو اليوم الذي تكثر فيه النادبات على القتلى ، ذاك يوم خير العواقب لمن يريد الخلود والحديث الحسن ، ذاك طريق المجد والعظمة ، طريقهما السيف والفتكة البكر وأما القيان ومتممات القيان من زق ومعزف فتلك أحاديث باطلةوهي من نصيب الجبناء والعلوج..

هذا هو المتنبي الذي أصبح الناس يتحدثون عنه ... »(*) .

« نعيـــه »

لقد نعت الصحف الوطنية والمحافل الادبية والقومية كافة في العراق خاصة والوطن العربي عامة رجيب ! وكانت امجلة الغري اولى المجلاتالتي نقلت خبر وفاته.

وقد افردت صفحتها الاولى من عددها الثاني والعشرين خبر نعيـه

(*) مجلة الاعتدال العدد التاسع عام ١٩٣٤ .

موشحا بالسواد بعنوان « نعي فقيد الادب والوطن » جاء فيه : « ينعى مكتب «الغري» بمزيد الاسى والاسف فقيد دولة الادب في العراق اديب النجف اللامع وكاتبها المجاهد عن الحق الاستاذ الكبير والكاتب المعروف المغفور له يوسف رجيب حيث توفاه الله في مصح «ظهر الباشق» في لبنان اثر مرض لازمه عدة شهور وهو بعيد عن وطنه الذي افنى حياته في سبيله، ففي ذمة الله يا ابا بيان والى فراديس الخلود...»[٦٢].

كما أصدرت المجلة عددا خاصا متضمنا ما القي في حفلات تأبينه من قصائد ومقالات .. وقد جاء فيه : «كان مكتب «الغري» قد نعى ـ حال وصول نبأ الوفاة ـ المرحوم رجيب الى محبيه وعارفي فضله ومقدري مكانته... وها نحن نصدر هذا العدد من مجلتنا ـ الغري ـ وقد خصصناه بما القي في حفلات تأبينه »[٦٣] .

على جثمان الفقيد « المرحوم يوسف رجيب » بقلم صبري الزبيدي

« ... اخي يوسف لقد لبيت نداء الواجب، وغادرت وطنك العراق الى الشام مقر وظيفتك الجديدة فشيعناك بقلوبنا وبقي كل منا شاخصاً ببصره نحـوك ، يترقب رسائلك ويتعقب أخبارك ، وذلك لتطمئن على سـلامتك وسعادتك ... ولكن ما أقسى القدر وما أكثره غدرا ، فقد شاء أن يغدر بك وانت في ديار الغربة بعيدا عن الاهل والاخوة والاصدقاء ، فقد شاء أن يغـدر بك ويفجع بمصابك دولة الادب والبيـان يا أبا بيان . وما كادت أسلاك البرق تنقل الينـا خبر نعيـك الاليم حتى تملك الجزع نفوسـنا

---

(٦٢) مجلة الغري العدد ٢٢ في ١٢ تموز عام ١٩٤٧ .
(٦٣) مجلة الغري العدد ٢٢ في ١٢ تموز عام ١٩٤٧ .

ونحن بين مصدق ومكذب ... أصحيح مات من كان صوته يدوي عاليا في سماء الوطنية يوم كانت المشانق منصوبة هنا وهناك؟ ويوم كان الاحرار المجاهدون مطاردين في كل صوب ومكان؟ أصحيح مات الكاتب الالمعي الذي نذر نفسه وقلمه لخدمة وطنه وأمته ؟ أصحيح مات الصحافي الناية الذي كان مثالا حيا للصحافي المتميز باستقامته ولباطة جأشه ، وصلابة مبدئه وعقيدته ؟ أصحيح مات فقيد الصحافةوالادب والبيان.

« الشهيد يوسف رجيب » للاستاذ سيد موسى كاظم

(ادباء الامة مصابيحها التي تنير لها سبل التقدم . ومن مستلزمات الصباح الاضاءة المستديمة والغريب في مجتمعنا ان قيمة الأديب لا تعرف الا اذا فقد وكأن الصباح لا قيمة له الا اذا أنطفأ وساد السكون والظلام. يعيش الاديب بين ظهراني المجتمع وكأن لا فرق بينه وبين أي فرد من أفراده الهمل ، ... واذا وجد بين المجموع من يسأل ويتفقد فانما عن ذوي الحظوظ وذوي المال والجاه . اما ذوو المواهب والكفاءات فلا شأن لهم بهم الا اذا احتاجوا الى أقلامهم يتخذون منها مزامير وسلالم للصعود وللظهور ، حتى اذا ما نالوا وطرهم بهذه الوسائل وبهذا التسخير انصرفوا عن تلك الأقلام وسعوا في تحطيمها . وليس منا من يجهل ما صنع قلم نقيدنا في خلق زمرة من الذين اصبحوا يشار اليهم بالبنان ، لولاه لما عرفوا ولما اشتهروا فكان جزاؤه منهم جزاء سنمار ... وهكذا يستعجل الادباء الموت ويطلبونه حثيثا بكل ما يتيسر لهم ، لئلا يتطرق الوهن إلى نفوسهم فيثلم شممها وإباءها وعزتها وكبرياءها . فرحمة الله على يوسف ورحمة الله على الأدباء ، الاموات منهم والاحياء[٦٤].

---

(٦٤) مجلة الغري العدد ٢٢ .

« الاديب الشهيد » للاستاذ توفيق الفكيكي

« طوى الجزيرة حتى جاءني خبر   فزعت فيه بآمالي الى الكذب
« حتى اذا لم يدع لي صيره املا   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

كنت أتمنى ان نقيم هذا الحفل لتمجيد مهرجان «يوبيل» النابغة الاديب والكاتب العبقري المرحوم يوسف رجيب • او كنت ارجو ان يتراخى به العمر ليقول رثائي ، ولكن ابى القضاء المحتوم والقدر المكتوب الا ان يسرع في اجابة الداعي للرحيل السعيد ويغذ السير في سفره الروحي الجديد ••• أيها السادة ••• لا أريد أن أقول كلمة الرثاء • لان الرثاء جدير بالاموات لا بالاحياء امثال الفتى الحر السيد رجيب الذي اثره الله علينا فأستأثر به وقربه الى جواره ونقله الى دار كرامته•

ليس من مات فأستراح بميت   انمـا الميت ميت الاحياء

••• ان اديبنا الشهيد ••• اولى بالتهنئة والبشرى لانه قد نجا من اضداده وأغياره ، وعاد الى ملكوت ربه وفاز بقربه وجواره ،ورافقت روحه الطاهرة الارواح الطيبة من اشكالها واشباهها • اما نحن ابناء الدنيا فما أجدرنا بالرثاء ، وما أخلقنا بالعزاء وما أحرانا بأقتفاء آثار الاحرار الابرار أولئك الذين أنعم الله عليهم فماتوا في خدمة المثل الانسانية قبل أن يموتوا ••• لقد كان ابو بيان ـ اسمح من لافظة ـ التي تزق فرخها حتى لا تبقي في حوصلتها شيئا •••

« قضى نحبه مستكثرا من جميله   مقلا من الفحشاء والعرض وافر•• »
أيه أبا البيان لقد أسرعت الخطوات الى دنيا البقاء • لتنعم بجمال معشوقتك الحرية التي كنت تستعذب في حبها العذل ومرارة الشقاء ، وقد حرمك وصالها الرقباء من أنصار العبودية وسماسرة الاستعمار ، فلك الهناء على لذة الحرية والاستقلال والمساواة فليس لغنيكم على فقيركم فضيلة ولا لخطيركم على

حقيركم مزية ، ولا لاصحاب القصور على أهل الاكواخ درجة الا بالتقوى...
فسلام عليك من اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين .

للشاعر خيري الهنداوي

نعاك لنا هل يدري ناعيك من نعي نعى الفضل والاداب والخلق أجمعا
أيوسف قد ارخصت للفضل ادمعا وصدعت أكبادا عليك وأضلعا
تبوأت من قلبي مكانا محصنا ولا زال بعد الموت حصنا ممنعا
عرفت إباء الضيم فيك ولم تكن لترضى سوى شهب المجرة موضعا
ورحت كليث الغاب تخطر عزة يدنيايها الاساد تخدم اضبعا
صبرت على جور الزمان وعسفه ولم تلو جيدا للزمان واخدعا
عليك سلام من أخ قد تركته وراءك مسجول الحشاشة موجعا

« بكيناك حر الفكر » للسيد هادي محي الخفاجي

بكيناك حر الفكر ثائرة على بلاد غدا الاحرار فيها مواليا
وثبت بمن لم يرع للحق جانبا وصارعت جبارا وقارعت جانيا
وكافحت صنفا آخرين : مصانعا يحاول جاها زائفا ومرائيا
اذا ما يدوا قالوا انظرونا مفاخرا وقلت لهم : لا بل تواروا مخازيا
صببت عليهم نار حرب يشبها يراع مضى حيث احتقرت المواضيا
وعاندت قوما خالفوك فأدركوا مآدب لا تحصى لهم وامانيا
وما نلت يوما والنوائب جمة كغيرك ما للنائبات وماليا
تصب عليك الرزء كالسيل عارما فتلقاه جلدا مصمت القلب عاتيا
فلله قلب للتمرد جلمد وللعطف ماء بل ارق حواشيا
سلام على القبر الذي فيه قد نمت رفاتك ازهارا وفاحت غواليا
وقمنا الى ذاكي التراب نشمه ونكحل منه الحائرات السواجيا

ولو كان يرد الدمع قبلك ميتا سقينك ذوب القلب لا العين داميا
ولكن دعاك الله ـ جل جلاله ـ ولست مجيبا بعد ربك داعيا

« ابا بيان » للشاعر محمود الحبوبي

ابا بيان رزيئتنا غير فاجرة ما انت الا مقيم غير مرتحل
فبين كل فؤاد صبوة وهوى يسترجعانك محجوبا من المقل
وفوق كل لسان غير منقطع ذكر جميل ، وحمد غير منفصل
ان انس لم انس عهدا قد وقفت ـرغم الردى ـ غير هياب ولا وكل
تبوح جهرا وسد الرعب كل فم اذ الملا بين منفي ومعتقل
أيام كنت واخوانا الفتهم مجاهدين بلا عجز ولا كسل
ابا بيان لو ان الجد ساعفني على رثاء به قد خانني املي
اذن لجئت به شعرا يخفف حزني وينقع من وجدي ومن غللي
حاولته فنأى عني كما طلبت يدي مصافحة المريخ او زحل

« يا حامل العلم الرفيع » للشاعر طالب الحيدري

يا حامل القلم الرفيع بكفه يأتي بـه بروائع الافكار
ان البيان تيتمت أبكاره من بعد فقدك يا أبا الابكار
من للبلاغة من لرفع لوائها وحماية الفصحى من الاخطار
يا قس هذا العصر قم واخطب بنا خطبا مخلدة على الاعصار
وانر لنا طرق الحياة بفكرة وقادة فالفكر خير منار
ان الاديب منارة لبلاده او انه قمر من الاقمار
أبا بيان والبيان مروع يبكي عليك بدمعه المدرار
نم في ضريحك مطمئنا وادعا واسعد فانك جار حامي الجار

قصيدة الشاعر عبدالغني الحبوبي

نضالك في ميادين النضال رفيع النفس من شرف الخصال
مشيت على هدى وعلى صراط سوي لم تغيرك الليالي
وعشت مجاهدا قلما وقلبا وغيرك عاش في نعم الخيال
وأصبى المجد قلبك وهو يصبى فما أغرتك فاتنة الجمال
وكم سلبت محاسنها عقولا وكم عبثت بأفئدة خوال

قصيدة الشاعر علي الهاشمي

كتابك للحقائق والفضيلة به صور مهذبة اصيلة
تجلى خلقك العربي فيه رعاك الله يا فخر القبيلة
له في كل مكرمة مقال به يدعو لاغراض حليلة
وأصدق من بكى اسفا وحزنا خليل شاعر يبكي خليله

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٧٣ لسنة ١٩٧٦
١٩٧٦/٦/١٥

الفهرســت

تم بعـــونه

من كتب الدكتور منير بكر التكريتي

- الصحافة العراقية واتجاهاتها الثقافية والسياسية والاجتماعية
بغداد ـ مطبعة الارشاد ١٩٦٩ ـ نفد ـ .
- الزوراء نشوؤها وتطور ألفاظها وأساليبها ـ مطبعة الجمهورية
بغداد ١٩٦٩ ـ نفد ـ .
- أساليب المقالة وتطورها في الادب العراقي الحديث والصحافة العراقية
بغداد ـ مطبعة الارشاد ١٩٧٦ .
- يوسف رجيب الصحافي الثائر والاديب الملتزم ـ بغداد ـ مطبعة
الارشاد ١٩٧٦ .

كتب تحت الطبع

- الصحافة وأثرها في تطور اللغة والمقالة .
- الاعلام العربي بين الامبريالية والصهيونية من عام ١٩٤٨م الى ١٩٧٦ .
- أعلام الصحافة العراقية .
- الصحافة الحزبية السرية والعلنية في العراق .
- المدخل الى الصحافة .
- نظرات في الادب والاعلام قديما وحديثا .
- الادب والثورة .
- الشعر اعلام العرب وصحافتهم .
- بين الصحافة والادب .